التحقيق الصحفي كشكل من أشكال التغطية الصحفية التفسيرية والاستقصائية

أ.د. محمود سليمان علم الدين

١ . التحقيق الصحفي كشكل من أشكال التغطية الصحفية التفسيرية والاستقصائية

١ . ١ مدخل الى التغطية الصحفية وتطوراتها

يعد التحقيق الصحفي أحد أهم فنون التحرير الصحفي رغم أنه فن حديث نسبياً في العمل الصحفي، حيث لم يستخدم على نطاق واسع إلا مع مطلع القرن العشرين، حيث كان الطابع الخبري والمقالي هما أساس العمل الصحفي آنذاك. وتتعدد تعريفاته:

- «فن يشرح ويفسر ويبحث في الأسباب والعوامل الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية التي تكمن وراء الخبر أو القضية أو المشكلة أو الفكرة أو الظاهرة التي يدور حولها التحقيق»
- «فن يبدأ من حيث انتهى الخبر، وهو مختلف عن فن الكتابة العادية حيث ينطوي على تحرير صحفي، وفن تصويري، وتبسيط للحقائق مع الاستعانة بالصور الفوتوغرافية أو الرسوم الإيضاحية التي تدعم الموضوع المطروح من خلال التحقيق الصحفي»
- «فن قائم على الاستطلاع و البحث والتحليل الواقعي الذي تدعمه الحقائق و البراهين ويتناول الموضوعات التي تحتاج الى شرح طويل».
- «تغطية تحريرية مصورة وهو البحث في مشكلة ما أو دراسة لظاهرة من الظواهر و استقصاء هذه الظاهرة من النواحي الايجابية والسلبية والقصد منه هو العلاج أو القاء الضوء على هذه الظواهر و يعتمد التحقيق على المشكلات العامة التي تقبل التاجيل و يربط بين

الاسـباب القريبة او البعيدة و نتائجها الحالية و المتوقعة يبدأ التحقيق بخبر بسيط يمس قطاعاً عريضاً من الناس».

التحقيق الصحفي يستطيع أن يلقي جملة أضواء على المشكلة المعروضة، ويزيد من قدرة القراء على الاستمتاع به وتتبع قراءته، هذا الشرح أو التعليل هو الذي يجعل للتحقيق صفة الجذب، وهو الذي يكثر من عدد القراء.

ومـن هنا فإذا كان الخبر الصحفي يبحث عن سـؤال ماذا حدث؟؟ فإن التحقيق الصحفي يبحث عن تسـاؤل مهم وهـو (لماذا حدث ذلك) وبالتالي فهو يبحث في الحدث ويحقق فيه كما يفعل رجال القضاء وضابط الشرطة.

فالتحقيق الصحفي واحد من أهم الفنون الصحفية، فهو يجمع بين عدد مـن الفنون التحريريـة في آن واحد، حيث يجمع بين الخـبر والحوار والرأي، وهـو مـن أصعـب الفنـون التحريريـة، إذ يتطلب مقـدرة وكفـاءة عالية من المحرر، لذلك يعد المحقق أو الصحفي بقسم التحقيقات من أهم الصحفيين في أي مؤسسـة إعلاميـة، وحتـى يكـون الصحفـي في هذا القسـم لابد وأن يكون ذا خبرة ومراس في مجال الصحافة، حيث يكون قد تعلم وعرف كيف يحصل على الخبر، وكيف يجري الحوارات واللقاءات الصحفية، وكيف يفسر أو يعلـق عـلى ما يقال مـن آراء، وكيف يـوازن بينها، ليقـدم في النهاية تحقيقاً صحفياً يفسر الواقعة أو الحادثة أو القضية موضع التحقيق.

يقـوم التحقيق الصحفي على خبر أو فكرة أو مشـكلة أو قضية يلتقطها الصحفـي مـن المجتمع الـذي يعيش فيه. ثم يقـوم بجمع مـادة الموضوع بما يتضمنـه مـن بيانات أو معلومـات أو آراء تتعلق بالموضوع، ثـم يزاوج بينها الموصل إلى الحل الذي يراه صالحاً لعلاج المشـكلة أو القضية أو الفكرة التي يطرحها التحقيق الصحفي.

ويـأتي التحقيـق الصحفـي مسـتفيدا من نمطـين جديدين مـن التغطية الصحفيـة همـا التغطية التفسـيرية والاسـتقصائية، وكذلك مفهـوم صحافة العمـق بحيـث يمكننا القـول إن التحقيـق الصحفي هو الشـكل الناتج من توظيف كل من التغطية التفسيرية والتغطية الاستقصائية في العمل الصحفي.

والتغطيـة الصحفيـة هـي العمليـة التي يقـوم خلالها المحـرر الصحفي بالحصـول عـلى معلومـات عـن التفاصيل والتطـورات والجوانـب المختلفة لحدث أو واقعة أو تصريح ما أو بمعنى آخر يجيب على كل الأسـئلة التي قد تتبادر إلى ذهن القارئ بشأن هذه الواقعة أو الحدث أو التصريح، ثم يقيم هذه المعلومات ثم يحررها بأسلوب صحفي مناسب وفي شكل صحفي مناسب.

وهناك عدة أنواع للتغطية الصحفية من حيث أسلوب المعالجة هي:

١ . ١ . ١ التغطية المحايدة Objective News reporting

ويقـدم الصحفـي فيهـا الحقائـق فقـط أي قصصـا إخباريـة موضوعية خاليـة من العنـصر الذاتي الشـخصي والتحيز أي يعرض الحقائق الأساسـية والمعلومات المتعلقـة بالموضوع بدون تعميق أبعاد جديدة أو تقديم خلفيات أو تدخل بالرأي أو مزج الوقائع بوجهات النظر.

مـن المبادىءالآساسـية في الفكر الصحفي أن الخـبر مقدس في حين أن الـرأي حـر وأن الصحـف عامة ينبغي أن تفـرق وتميز وتفصـل بين الاثنين، فالخـبر موضوعـي، والـرأي حـر بـشرط أن يكـون ذلـك خـارج الأعمـدة الإخبارية، ولكن الأخبار والآراء لم تكن منفصلة دائما في الجرائد الأمريكية.

وبذلـت بعد ذلك بعض الجهود لفصـل الرأي عن الخبر، وتوصلت إلى قدر من الموضوعية مع بداية الثلاثينيات من القرن التاسـع عشر، وتم تغطية

معظـم أخبـار الحرب الأهلية بشـكل أكثر موضوعية، واعتـمادا على الحقائق الخاصة بجانبي الصراع.

وشـجع اتسـاع نشـاط وكالات الأنباء، التي حرصت على الموضوعية. بحكـم أنهـا تخدم جرائد عديدة وعملاء لهـم آراء متباينة، وتطور جرائد اكثر إحساسـا بالمسـؤولية في سياسـاتها التحريرية مثل جريـدة .New York Sun New York World عـلى الفصل بين الأخبـار والآراء، يؤكد المؤرخون على دور وكالات الأنباء في التأثير على أسلوب تغطية الجرائد الأمريكية لأخبارها، من خلال إصرار الوكالة على الموضوعية، وظهر ذلك في تطويرها للمقدمات الإخبارية الملخصة، وأساليب الهرم المقلوب لتضع الحقائق الأكثر أهمية أولا في قصصها.

وقـد جاء اختفاء جرائد عديدة وبروز ظاهـرة اندماج الصحف بعضها ببعض فشجعا على فصل الأخبار عن الآراء فالتحيز في أعمدة الأخبار يمكن أن يكون مبررا في المجتمعات التي تتعدد فيها الجرائد ويصبح في مقدور القراء الاختيار بينها حسـب اتجاهاتهم الشـخصية. إلا أن وجـود جريدة وحيده في المدينة يلقي عليها مسؤولية ضخمة، إذ ينبغي ألا تكون متحيزة، وأن تفصل آراءها عن تغطيتها الإخبارية.

وقـد أدى الالتزام الدقيق بالموضوعية إلي نشر بعض الأعمدة الإخبارية متضمنة حقائق فقط، إلا أن هذه الحقائق لم تكن مفهومة، ومن هنا سـمحت الجرائـد ـ بدعـوى الموضوعيـة ـ لبعـض الشـخصيات العامـة بتفسـير هذه الحقائـق، وأدى هـذا في حالات كثيرة إلى تشـويهها في الوقـت الذي دافعت فيه الجرائد عن نفسـها بأنها تنقل عن هذه الشـخصيات بدقة، وأدى هذا كله إلى زيادة الحاجة إلى التفسير أو إلى أي معلومات خلفية أو تفاصيل تساعد في

التغطية الإخبارية، ومن هنا نشأت تيارات جديدة في التغطية الصحفية مثل التغطية التفسيرية و التغطية الاستقصائية

١ . ١ . ٢ التغطية التفسيرية Interpretative News reporting

وفي هذا النوع من التغطية يقوم الصحفي بجمع المعلومات المساعدة أو التفسيرية إلى جانب الحقائق الأساسية للقصص الإخبارية وذلك بهدف تفسير الخبر أو شرحه وخدمة القراء الذين ليس لديهم وقت كاف للبحث بأنفسهم، بشرط أن تكون هذه التغطية منصفة تقدم كل التفاصيل.

وتتضمن هذه التغطية وصف الجو العام المحيط بالحدث أو وصف المكان أو وصف الأشخاص وذكر بعض المعلومات الجغرافية أو التاريخية أو الاقتصادية أو السياسية عن البلد التي وقع فيها الحدث وتحليل الأسباب والدوافع والنتائج والآثار المتوقعة المبنية على الجهد والدراسة والربط بين الواقع والأحداث المشابهة وعقد المقارنات.

وقدبرزت الحاجة إلى تقديم خلفيات ومعلومات تساعد على فهم الأحداث، ومن هنا ظهر ما عرف بالتغطية التفسيرية Interpretative Reporting وأصبحت الجرائد تقوم بهذا النوع من التغطية متفقة في ذلك مع محرري المجلات الإخبارية ومعلقي الراديو - والتليفزيون فيما بعد.

وتقوم التغطية التفسيرية على أساس التحليل السببي. Causal analysis أو على حد تعبير أستاذ الصحافة Curtis Mc. Dougal: «من الضروري لتفسير الأخبار فهمها، والفهم يعني أكثرمن مجرد القدرة على تعريف المصطلحات أو الأدوات أو الألفاظ التي يستعملها أشخاص في مناحي مختلفة من الحياة ويتضمن ذلك تمييز الحدث الخاص كواحد من سلسلة أحداث له سبب وتأثير».

ويتفـق أيضـا كل مـن أسـتاذ الصحافـة.. Mitchell.V. Charnely مع مدير مدرسـة الصحافة بجامعة ويسكنسن Harold Nelson على أن التغطية التفسـيرية هي «صحافة تقوم على السـبب والتأثير» أو هـي «ذلك النوع من التغطية الصحفية الذي يقول إن الأسـباب التي تؤدي إلى الحدث الإخباري هي... و...و... أو (و) نتائج هذا الحدث الإخباري هي...و....و...».

وفي هـذا النوع من التغطية تتدرج عملية التفسـير أو وضع الموضوع في إطار: من تعريف كلمة إلى فقرة أو أكثر، إلى قصة أو أكثر متصلة، وتزود عديد من الوكالات الصحفيـة (وكالات الأنباء ووكالات الخدمات المتخصصة) الصحـف بمزيد من التغطية التفسـيرية والتحليلات، ولكن هذا الأسـلوب فتـح الطريق أمام توغل جديد للرأي داخل القصص الإخبارية، وأمام ذلك يـصر بعض المحررين الممتازيـن على ضرورة التمييز بـين الحقائق (الأخبار) وتفسير تلك الحقائق أو التعليق عليها (الرأي).

فالتغطية التفسـيرية ـ على سـبيل المثـال ـ عند مدير تحريـر جريدة New York Times وأحـد المسئولين عـن طبعـة الأحـد وهو الصحفـي Lester Markel هي: « الإحساس الأعمق بالأخبار أو وضع حدث خاص في التيار العام للأحداث: أنه اللون، الجو، العناصر الإنسانية التي تعطي معنى لحقيقة معينة، إن التغطية التفسيرية باختصار هي:

«بنـاء، تتابـع، بالإضافة إلي مغزى» وعلى ذلـك فعندما يتم تعيين مجلس وزراء جديد فان التغطية الإخبارية (غير التفسـيرية أو المجردة مائة في المائة) تنشر أن المجلس قد تم تعيينه، أما التغطية التفسيرية فتنشر لماذا اتخذ مثل هذا القرار ؟

ويلخـص الكاتـب الصحفـي Herbert Brucker الفـرق بـين التغطية التفسيرية والرأي في الإجابة على سؤالين: هل المحرر يعمق الحقيقة ويغوص

في جوهر الحدث جامعا كل الحقائق المتصلة به والتي يستطيع الحصول عليها ؟ أم أن المحرر يناقش بشكل صريح القضية، ويطرح وجهة نظره ؟

١. ١. ٣ التغطية الاستقصائية.. Investigative Reporting

حينما توسعت الجرائد في الإبراز والتركيز والتحري عن قضايا معينة، أو موقف أو أمور تحدث في المجتمع، خاصة جوانب الانحراف والفساد، نشأ لون جديد من التغطية الصحفية سمي بالتغطية الاستقصائية، وسمي محرروه بال: Muck rekers أو المنقبون عن الفساد وقد أطلق هذا الاسم أساسا على مجموعة الصحفيين الذين قادوا حملات صحفية مهمة ضد الفساد خاصة عام ١٩٠٢م، حين أدى التوسع الصناعي السريع بعد الحرب الأهلية إلى الكثير من أنواع الظلم والشرور وكانت الاحتكارات موضع قلق عام ورأى فيها بعض المراقبين تحالفا غير سديد بين التجارة والسياسة واعتمد هؤلاء الصحفيون (المنقبون عن الفساد) في حركتهم الصحفية على نشر التحقيقات الصحفية الكاشفة المبنية على وثائق رسمية وخاضعة لمراقبة الخبراء، وبرزت حركة المنقبين عن الفساد كقوة مهمة سنة ١٩٠٦م، ثم أخذت تنحسر بعد ذلك بعامين، ثم بلغت ذروة النجاح سنة ١٩١١م، مرة أخرى، ثم تبددت سنة ١٩١٢م، فقد ملها الجمهور، ولكثرة الضغوط المالية على بعض الصحف، كما بدأ إصلاح بعض المساوئ التي تم كشفها، وينسب إليها ـ كحركة لكشف الفساد وفضحه ـ دور مهم في عدد من الإصلاحات تجلت، في إصدار: قانون على مستوى الحكومة الاتحادية حول الغذاء النقي، قوانين تشغيل الأطفال، قوانين تعويض العمال، نشاطات لجنة التعريفات الجمركية وتحقيقات الكونجرس.

وتحاول الجرائد الأمريكية ـ بشكل متزايد ـ أن تشجع المحررين ذوي الخبرة على التحرر من القصص الروتينية حتى يستطيعوا معالجة القضايا والموضوعات ذات المغزى التي تتطلب وقتا أكثر وخبرة.

وأشهر نماذج التغطية الاستقصائية قدمها كل من المحررين Bob Wood ward و Carl Bernstein بجريدة ال Washington Post اللذين نجحا في كشف تورط الرئيس الأمريكي Richard.B. Nixon في فضيحة التنصت على مقر الحزب الديمقراطي، التي أدت في النهاية الى استقالة نيكسون بعد ادانته هو وكبار معاونيه سنة ١٩٧٤م.

ومن نماذج التغطية الاستقصائية في الصحافة الأمريكية، التي استعانت بالحاسبات الإلكترونية تلك التحقيقات المسلسلة التي أعدها Joseph Albriqht، التي بدأت عمليات اعدادها او تغطيتها ليلة ٣١ مارس ١٩٨١م، وهي الليلة التي تعرض فيها الرئيس الأمريكى Ronald Reagan لمحاولة اغتيال، فقد علم المحرر وهو مراسل صحف Cox في واشنطون من مصدر في المباحث الفيدرالية أن البندقية التي تمت بها محاولة الاغتيال من نوع (RG. 14) وهو نوع لم يسمع به المحرر من قبل، وعلم أيضا أن أجزاء هذه البندقيه تم جمعها في ميامي من قطع وأجزاء مصنوعة في الخارج، وفي الأسبوع التالي بدأ كل من: المحررين Andrew Alexander و Joseph Albrioht و Henry Eason و Cherye Audson العاملين في مجموعة صحف Cox، في اعداد تحقيق صحفي عن البنادق اليدوية، سعوا فيه للبحث عن عدد من الأسئلة حول: سمات هذه البنادق وأحجامها وأسعارها ومصادرها وأساليب تشغيلها وصيانتها وصناعتها وموردها، وأساليب الحصول عليها، ونوعية الجرائم التي تستخدم فيها، وعندما حاولوا الحصول على اجابات من

الأجهزة والهيئات الرسـمية التي تملك هذه الاجابـات، لم يجدوا ما يرضيهم وتوقفـوا لفـترة، ثـم علموا من مصـدر بالشرطة أن هناك سـجلات للبنادق اليدوية في وزارة الخزانة الامريكية ولكنها مخزنة بلغة الحاسـبات الإلكترونية ومحمية من الفتح وحصلوا على نسخة من هذه الاشرطة.

وبـدأت مرحلـة الرغبة في تفسـير هـذه الأشرطـة أو ترجمـة المعلومات الموجـودة عليهـا الى لغة مفهومة، أو فتح البرنامج وأخـذ Joseph Albriqht الشريـط الى صديق لـه في شركة خدمات حاسـبات اليكترونيـة بالقرب من واشنطون، وعلم منه أن لغة تخزين المعلومات على هذا الشريط مميزة لاغراض تتصل بالأمن القومي، ولهذا فهي غير مفهومة لأنظمة الحاسبات الإلكترونية التي تسـتعملها المؤسسـات المدنية، ولكن Albriqht لم ييأس وحاول في أكثر مـن مـكان، حتى نجح في ترجمة الشريط الى لغة حاسـبة اليكترونية (ترميز) قابلة للعرض، وقام، خبير في الحاسـبات الإلكترونية بمعالجة الشريط، وهنا أصبح لدى المحرر مادة خام لموضوعه.

و كشـفت محتويـات هـذا الشريـط عـن ١٥ نوعـا مـن البنـادق الآلية، وعلاقتهـا بالجرائـم في ١٨ مدينـة أمريكيـة، وعـن كل الخلفيـات الاداريـة والاقتصاديـة الخاصـة بهـا، وبـدأ المحـررون في كتابة موضوعهم على سـت حلقـات نـشرت من ٦ الى ١١ سـبتمبر عـام ١٩٨١م، بعنـوان: «القتلة ذوو الأنوف الفطسـاء The Snubnosed Killers وكشـفت هذه التحقيقات عن الشركات والأشـخاص الذين يصنعون أويسـتوردون المعدات والأسـلحة المختلفـة التي تسـتعمل في الجرائم وأحداث العنف والشـغب والمظاهرات، وسمات هذه الأسلحة واعدادها واساليب الحصول عليها.

وقد انتشر هذا النوع من التغطية في السـبعينيات والثمانينيات لاسـباب عديـدة منهـا: الدعـم المالي الـذي حصلت عليـه في اوائـل السـبعينيات، اذ

كان التخطيـط لذلـك قد بدأ منذ عام ١٩٦٨م، بشـكل غـير منتظم وأصبح هنـاك منظمة أو مؤسسـة أو صندوق مسـتقل هـو Fund of investigative Journalists يمولـه أساسـا المؤسسـات والأفراد، ونجح هـذا الصندوق في تمويـل اكثر من ٦٠ مشروع تغطية اسـتقصائية خلال الفترة من سـبتمبر عام ١٩٧١م، حتـى سـبتمبر عـام ١٩٧٣م، بعضهـا لم ينـشر في شـكل تحقيقات صحفيـة مبـاشرة ولكنـه كشـف عـن اوجـه نشـاط قابلـة للمناقشـة تتصل بالأوضـاع المريبـة في النشـاط الاقتصـادى أو الحياة السياسـية، وعن فسـاد الحكومة واشياء اخرى.

وفي عـام ١٩٧٦م، تأسـس اتحـاد المندوبـين والمحررين الاسـتقصائيين Investigative Reporters and Editors (IRE). كجماعـة أو تجمع صحفي - لا يهدف الى الربح - على يد مجموعة من المحررين الاسـتقصائيين لتشـجيع الصحافـة الاسـتقصائيه وتنميتهـا، وخطـط لتطويـر مركـز للمـوارد يضـع خدمات معلومات ونشرة اخبارية عن الموضوعات الاستقصائيه، الى جانب دليل للخبراء وخدمات أخرى.

وفي عـام ١٩٧٩م، افتتحـت Investigative Reporters and Editors. Inc مركـز بول ويليامـز التاريخي للتغطية الاسـتقصائية بجامعة ميسـورى، وأعلنـت عـن خطـط لتطويـر الاسـتقصاء، وعـن جوائـز جديـدة لأفضل المحررين الاستقصائيين.

وتسـتخدم التغطية الاسـتقصائية الان بشكل متسـع في مجالات كشف الفسـاد في المجتمـع والنقـد، وتقديـم الرؤية الاسـتقصائية الشـاملة التي لا يسـتطيعها، الراديـو أو التليفزيـون وقد صاحب هذا نمـو متزايد في توظيف الحاسـبات الإلكترونيـة لاغـراض تصنيـف المعلومـات والبيانـات الكثيرة

التي يحصل المحررون الاستقصائيون عليها وتحليلها بشكل يساعدهم على الوصول الى خلاصات كمية دقيقة منها.

وقد ساعد على هذا انتشار استخدام المؤسسات الحكومية والمؤسسات الخاصة للحاسبات الإلكترونية في تخزين المعلومات وتصنيفها واسترجاعها، مما اتاح امكانية الحصول عليها بنفقات قليلة أو بدون نفقات على الاطلاق.

١ ـ تطبيق التغطية الاستقصائية: صحافة الاستقصاء أو العمق

ومؤخرا طفا الحديث عن صحافة الاستقصاء أو العمق بعد أن زار كل من الصحفي المحقق الكبير «سيمور هيرش» والصحفي «روبرت فيسك»، ومن ثم الدورة التي نفذتها «مؤسسة هيكل للصحافة»، والتي ركزت على صحافة العمق وخرجت ما يقرب من ٣٠ صحفيا بعد أن جمعتهم شهرا كاملا.

أحد تصريحات «هيرش» التي تناقلتها وسائل الإعلام كانت عبارة عن ثلاث كلمات «مستقبل الصحافة في صحافة العمق»، وهي جملة يفترض أن تحفر عميقا في وجدان الصحفيين والمؤسسات الإعلامية المختلفة في ظل ما يتهددها من مخاطر وصعوبات مالية وتنافسية، ومن عزوف المواطنين عن متابعتها.

«هيرش» يتناول المسألة من مدخل مختلف عما اعتدنا عليه، وهو أن صحافة الاستقصاء أو العمق هي مدخل لبقاء وسائل الإعلام عموما والصحافة خاصة على قيد الحياة، في ظل التحولات الكثيرة التي تنال عالم «الميديا».

صحافة التقصي أو الاستقصاء أو العمق هي مصطلح عمره يزيد على نصف قرن في دول العالم المتقدم، وتحديدًا في الولايات المتحدة الأمريكية

وأوروبا، وهو يعني سبر أغوار الظواهر المجتمعية المختلفة، ومحاولة الوصول إلى عُمقها، ابتغاء تجلية حقيقتها أمام الرأي العام، أيا كانت هذه الحقيقة، وأيًا كان مَن يوافقها أو يجافيها.

هذا اللون من الصحافة مارسته الصحافة المصرية والعربية بشكل غير منهجي وبدرجات متفاوتة عبر تاريخها، والعجيب أنه ازدهر خلال النصف الأول من القرن الماضي إبان عهد الاحتلال الإنجليزي، فكانت أكبر تجلياته إماطة اللثام عن فضيحة الأسلحة الفاسدة التي تم تزويد الجيش المصري بها في مواجهته مع العصابات الصهيونية بفلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، تلك الفضيحة التي فجرها الكاتب الصحفي «إحسان عبد القدوس» عام ١٩٤٩م، وعدها البعض من أسباب التئام تنظيم الضباط الأحرار، وإرهاصات التغيير في مصر عام ١٩٥٢م.

هذا الازدهار النسبي لصحافة الاستقصاء في مصر تعرض للخفوت في خلال العقود التالية، وإن كان قد عاود محاولة اكتساب أرضية له، مع عودة العمل بنظام التعددية الحزبية في مصر عام ١٩٧٦م.

هذا على مستوى الداخل المصري والعربي، أما على صعيد الخارج الغربي فإن صحافة «الاستقصاء» أسهمت في إحداث تغيير كبير في مناطق مختلفة من العالم، وليس أدل على ذلك من إسقاط الرئيس الأمريكي نيكسون الذي تقدم باستقالته من منصب الرئاسة في عام ١٩٧٤م، على إثر فضيحة ووترجيت التي فجرها الصحفي الشهير «بوب وود ورد»، في جريدة «واشنطن بوست».

«وود ورد» عاد لممارسة دوره الاستقصائي بشكل قوي مرة أخرى بعد ذلك بأكثر من ربع قرن من خلال كتابه الأخير «خطة الهجوم» الذي كشف فيه خبايا العدوان الأمريكي على العراق.

الآن تلمع في سماء الغرب أسماء بعينها في مجال إبداع هذه الصحافة، مثل: سيمور هيرش.. الصحفي الأمريكي الذي فضح تفاصيل مذبحة «ماي لاي» في فيتنام عام ١٩٦٩م، وكشف النقاب للمرة الأولى عن الترسانة النووية الصهيونية التي كانت سرا غامضا لعشرات السنين في كتابه «الخيار شمشون» في عام ١٩٩١م، إضافة إلى إسهامه في كشف وقائع تعذيب المسجونين العراقيين في سجن «أبو غريب».

وفيما يطول الحديث عن نماذج الصحفيين الاستقصائيين في الغرب، من فرط كثرتهم.. نعاني في مصر والدول العربية من ندرة هذه النماذج، وغياب منهجية العمل الاستقصائي بصحافتنا.

وقال صحفي التحقيقات الاستقصائية الأمريكى شارلز لويس ٢١/ ١١/ ٢٠٠٩م، إن «التحقيقات الصحفية عمل من الصعب القيام به لكن ذلك لا يعني أن لا نقوم به»، وأضاف خلال محاضرة له استضافها قسم الصحافة في جامعة البترا إن التحقيقات الاستقصائية تنجح بوجود الحياة الديمقراطية وتدعمها.

وأشار لويس إلى أن المحقق الصحفي هو شخص غالبا لا يصدق ما يقوله الآخرون، مشيرًا إلى أن معظم التحقيقات الصحفية الناجحة تبدأ من مقارنة بسيطة بين ما يقوله المسؤول وما هو موجود على أرض الواقع».

وأوضح لويس أن التحقيقات الصحفية تتطلب وقتا أطول من انجاز الموضوعات الصحفية المعتادة، قائلا «يستغرق انجاز التحقيقات الصحفية أشهراً وربما سنوات، وإذا كان الصحفي محظوظا فقد يستطيع انجازها خلال أسابيع».

وبـين لويس أن العمل في التحقيقـات الصحفية يقود الصحفي للوقوع في العديد من المخاطر خاصة من قبل الأشـخاص او المؤسسـات التي يسعى لكشف فسادها، ذاكرًا العديد من القصص التي تسببت في مقتل الصحفيين بسـبب عملهم، مؤكدًا أن تلـك الأعمال دفعت الصحفـين إلى الاصرار على مواصلة تحقيقاتهـم، وأن بعض الصحفيين قامـوا بمتابعة تحقيقات زملائهم بعد مقتلهم.

وذكـر لويـس أنه خلال عمله ضمـن برنامج (سـتون دقيقة الأميركي) قامت ادارة البرنامج بحذف تحقيق قام بإعداده مما دفعه إلى الاستقالة وانشاء مكتبه الخاص للتحقيقات الصحفية تحت اسم مكتب «النزاهة العالمي».

و حول عدم قيام صحفيي التحقيقات الاستقصائية في الولايات المتحدة عـن الجرائم التي ترتكبها اسرائيل بحق الفلسـطينيين، قال لويس «أعتقد أن معظـم الصحفيـين يرون العالم من منظـور بلدانهم التي يعيشـون فيها، ومن الواضـح أن أمـيركا تعتـبر اسرائيـل حليفهـا الاسـتراتيجي، ولا أقصد هنا التحيـز، إنما أظن أنـه وجب على الصحفي أن ينظـر إلى الأحداث من وجهة نظر عالمية».

٢ ـ المتطلبات والمحددات الأساسية

الإعـداد والتخطيط المسبق قبـل البـدء في الكتابة (مصـدر الموضوع ـ عناصر الموضوع ـ نوع المعلومات المطلوبة في الموضوع ـ شخصيات الموضوع ـ عناصر الإيضاح والصور ـ حسن توظيف عناصر الكتابة الصحفية).

ـ الالتزام بالمواعيد المحددة للنشر

ـ الالتزام بالمساحة المحددة

- القابلية للتحديث وخاصة الكتابة الإخبارية
- استيعاب السياسة التحريرية والإلمام باتجاهاتها
- استيعاب الأجناس الكتابية Writing Genres الصحفية المختلفة، ارتباط كل جنس أو شكل صحفي Journalistic Genre بوظيفة صحفية إعلامية محددة.
- الإلمام باعتبارات الكتابة للصحيفة والمجلة
- الاعتماد على كتاب أو دليل اسلوبي للصحيفة.
- استيعاب المتغيرات الجديدة في النشر الصحفي على الانترنت، والسمات الأسلوبية الجديدة له: مثل استخدام لغة الهايبرتكست.
- قراءة رد الفعل أو التعليقات أو المشاركات في الصحافة الإلكترونية.
- استيعاب تقنية البناء الفني لكل نص صحفي يصاغ في كل جنس أو شكل صحفي Journalistic Genre (مع اختلافات داخل كل جنس أو شكل صحفي) يتضمن: العنوان، المقدمة، الجسم، الخاتمة، الصور والرسوم المصاحبة

٣ ـ دور التحقيق الصحفي في تحقيق بعض وظائف الصحافة

التحقيق الصحفي يعتبر من ارقى فنون الصحافة والصحافة الرصينة في العالم هي صحافة التحقيقات والتحقيق اصبح جزءا مهماً جدا من المادة الاخبارية فيما يسمى بالتغطية الاستقصائية تعتبر شكلا من اشكال التحقيق السريع الذي يهدف الى توصيل المادة الخبرية للقارىء وهذا النوع من التغطية تنافس به الصحافة وسائل الاعلام الاخرى بالذات الفضائيات وشبكة الانترنت.

يلبي التحقيق الصحفي وظائف الصحافة الأساسية وهي:

١ ـ وظيفة الإعلام: حيث يقوم التحقيق بنشر الحقائق والمعلومات الجديدة بين القراء.

٢ ـ تفسير الأنباء: يقوم التحقيق الصحفي بتفسير الأخبار والأحداث وشرحها، وذلك بالكشف عن أبعادها الاجتماعية والاقتصادية ودلالتها السياسية.

٣ـ التوجيه والإرشاد: وذلك بتصديه لقضايا المجتمع ومشكلاته والبحث لها عن حلول.

٤ـ التسلية والإمتاع: يركز التحقيق الصحفي في كثير من الأحيان على الجوانب الطريفة والمسلية في الحياة.

٥ـ الإعلان: يشيد أحياناً التحقيق الصحفي بمشروع معين ويسمى في هذه الحالة بالتحقيق الإعلاني.

أول من اهتدى للتحقيق الصحفي هو الصحفي البريطاني «دانيال ديفو» وهو صاحب المقولة المشهورة في كل زمان ومكان في عالم الصحافة وهي Style is the man وتعني ان الاسلوب هو الرجل حيث يعرف الناس من خلال اساليبهم بالذات الصحفيين. وقد تم اكتشاف التحقيق على يد دانيال في القرن التاسع عشر.

وايضا برز التحقيق الصحفي بظهور الصحافة الشعبية لان الصحافة كانت مرتبطة بالصفوة حتى منتصف القرن التاسع وقد كان السبب في ظهور الصحافة الشعبية كثرة الاعلانات فيها الشيء الذي ادى الى ازدياد عدد نسخها فانخفض سعرها حتى استطاع ان يشتريها عامة الناس. وقد ظهر التحقيق من خلال صحيفة «الديلي ميل».

والهـدف مـن التحقيـق الصحفي تفسـير الاحـداث اجتماعيا وتفسـير الاشـخاص نفسـيا واذا كان الخبر اجابة عن اسـئلة سـتة فان التحقيق اجابة عن سـؤال واحد هو لماذا. وللتحقيق عدد من القوالب الفنية التي يكتب بها اولهـا قالب العرض وقالب القصة وقالب الوصف والرابع قالب الاحتراف وقالب الحديث.

ومـن اعظـم التحقيقات في القرن الماضي والتـي لا زال يضرب بها المثل هو تحقيق «ووترقيت» بالولايات المتحدة الامريكية في عهد الرئيس نيكسون وقد ساهم هذا التحقيق في اقالة اعظم رئيس في الولايات المتحدة الامريكية وهو الرئيس نيكسون.

٤ ـ التحقيق الصحفي ووظائف الصحافة الحديثة

إن الحديث عن وظائف الصحافة ينطلق من أهمية الدور الذي تقوم به،، فدورهـا لم يعد يقتصر على نقل الخبر وتسـجيل الأحـداث وتدوين الوقائع، بـل أصبحـت الصحافة تلعب دورا مؤثـرا للغاية في خلق التوعية السياسـية والاجتماعيـة والاقتصادية، وفي صقل المشـاعر القومية والإنسـانية وجعلها تصب في قناة واحدة لخلق المواطن الواعي المتكامل.

ويصعـب تحديـد الخدمة أو مجموع الخدمات التـي تقدمها الصحيفة إلى الجمهـور، فالوظائـف الاجتماعية للصحافـة متعددة، ومما يزيـد من صعوبة تحديدها هو تنوع محتوياتها وتشابكها وتعدد فئات قرائها.

وقد تجاوزت الصحافة كغيرها من وسـائل الإعلام الجماهيرية في أيامنا هذه ـ بما أتيح لها من إمكانات تقنية متطورة ـ وبما اكتسـبته من أهمية في حياة الناس ـ ما تعارف عليه باحثو الاتصال من وظائف تقليدية لتلك الوسائل ـ حيث حدد هارولد لاسويل ـ مثلا ـ في أواخر الاربعينيات من القرن العشرين

ثلاث وظائف للإعلام هي: القيام بمراقبة البيئة المحيطة، والعمل على ترابط أجـزاء المجتمع ووحدته في مواجهة البيئة، والاهتمام بنقل التراث الثقافي عبر الأجيال المختلفة،وتوالت على تلك الوظائف الإضافات اللاحقة التي اسهم بهـا باحثون آخرون مثل رايت الذي أضاف وظيفة التسـلية أو الترفيه، ومثل ديفيتـو الـذي أورد وظائف أخـرى كالتعزيز والمسـاندة والتعليم ومثل شرام الـذي رأى أن الوسـيلة الإعلامية يمكن اعتبارها مروجًا للسـلع والخدمات التجارية بيننا كأفراد، مشيرًا بذلك إلى الوظيفة الإعلامية.

ويؤكد ذلـك التطور المتواصل لوظائف الإعـلام في المجتمعات الحديثة أن الوسـيلة الإعلامية غدت اليوم «مؤسسـة اجتماعية تمـارس دورًا كاملاً في حياة أفراد المجتمع مثل بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى».

والصحافة كإحدى المؤسسـات الاجتماعية، التي تقـوم بوظائف تربوية وتعليمية على المستوى الاجتماعي من شأنها أن تقلل من حدة الفوارق الثقافية بـين فئـات المجتمع المختلفة، وان تحدث تجانسًـا فكريًا بواسـطة ما تقدمه من مواد إخبارية وغير إخبارية.

وبالرغـم مـن أن الصحافة تسـاعد بطريق غير مباشر عـلى الوصول إلى الوئـام الفكـري، إلا أن البعـض يـرى أن مـن وظائفها الحيويـة أن تقف ضد مـا يسـمى بالإنفاق الفكري الاجتماعـي، الذي هو إحدى سـمات النظم غير الديمقراطية، التي تفرض آراءها وطرق تفكيرها على أفرادها، بحجة توحيد الصفوف، الأمر الذي يتنافى مع طبيعة تطور المجتمعات فبالرغم من تشابه بني البـشر في التركيب البيولوجي كالحاجة إلى الطعام والشراب والنوم وغيرها، وفي بعض الأهداف الاجتماعية كالرغبة في الوصول إلى منصب اجتماعي، إلا أن كل فرد له شخصيته التي تختلف عن سائر الشخصيات الأخرى.

ويكـون هـذا الفـرق بمثابـة الحجـرة الفرديـة الخاصـة، ومـن واجـب الصحافة تشـجيع هذا الجانب الفردي الـذي يقوم بوظيفة المحرك في عملية التطور الاجتماعي، ومن هنا يستحيل وجود إنفاق اجتماعي كامل.

فمن واجب الصحافة إذن أن تحدث وئامًا أو تقاربًا فكريًا اجتماعيًا، أي تحـول التفاوت إلى تقارب اجتماعي بواسـطة ما تقدمه مـن ثقافة ومعلومات وأخبـار على جميع المسـتويات الاجتماعية، حتى لاتوصـف بالتحيز لفئة على حسـاب الأخـرى، وحتى يمكنها الالتزام بالموضوعيـة، حيث إن هناك فرقا بـين الاتفـاق.. والوفـاق، فبينما يسـتلزم الاتفـاق التجانس الـكلي، يفترض الوفاق التقارب الفكري حول موضوع.

ويرى الدكتور علي بن شـويل القرني في دراسته عن « معالجة الصحافة السعودية للقضايا المحلية: دراسة تحليل مضمون في علاقة الصحافة بالسلطة» أنه من خلال المراجعات العلمية للأفكار العامة، والدراسـات المتخصصة، يمكن الاسـتنتاج بأن المؤسسـات الإعلامية تقوم بوظائف عديدة ومتنوعة، حسـب طبيعـة الدور المعطى لهذه الوسـائل في المجتمع. متبنيـا اربع حالات او تصنيفـات يمكـن مـن خلالها تحديد علاقة وسـائل الإعلام بالمؤسسـات الاجتماعية، وهذه الحالات، هي السطلة الرابعة، والإعلام الموجه، والإعلام الإقناعي، والإعلام المدني.

أ ـ السلطة الرابعة

من الأدوار التي تم تناولها منذ القرن الثامن عشر مفهوم السلطة الرابعة للصحافـة Fourth Estate ، وتعنـي أن سـلطة الصحافـة تتنافـس مـع باقي السـلطات في المجتمع. ويشـكل هذا المفهوم أساسـا لمفهوم أكثـر حداثة منه نـما خلال العقود الماضيـة وهو وظيفة «كلب الحراسـة» watchdog والذي

يضع للصحافة والإعلام دورا محوريا للنيابة عن الشعب في متابعة وحراسة المؤسسات الاجتماعية الأخرى. وعلى مستوى الواقع يتجسد هذا الدور في المساءلات المستمرة لأداء الحكومات والمجالس القضائية والتشريعية في المجتمعات، وتعريف المواطنين بطبيعة العمل والنشاط الذي تمارسه هذه الأجهزة.

ب ـ الإعلام الموجه

كما أوضحت الأدبيات السابقة، فان مفهوم الصحافة والإعلام في النظريتين السلطوية والشيوعية يتمثل في أن تعمل وسائل الإعلام في إطار دور ناقل لكل ما تتوجه به الحكومات والأحزاب الحاكمة إلى مواطنيها من إيديولوجيا وسياسات وبرامج وتعليمات، وهذا ما يمكن أن نصفه بالإعلام الموجه من السلطة.

جـ ـ الإعلام الإقناعي

تسعى وسائل الإعلام ـ على اختلاف اتجاهاتها ـ إلى أن تنجح في الدور الإقناعي المناط بها. وتتساوى في هذا الدور مختلف الوسائل الإعلامية سواء كانت تحت مظلة سلطوية او ليبرالية. وتعتمد الوسائل على استراتيجيات متنوعة في الإقناع حسب المنهجيات المتاحة لهذه الوسائل.. ويمكن إجمالا تصنيف هذه الوسائل الإقناعية إلى قسمين، قسم يتعامل مع الإقناع المباشر، وقسم آخر يتعامل مع الإقناع غير المباشر. ولكن الاختلاف يكمن في مضمون الحملات الإقناعية، فبينما تسعى وسائل الإعلام في المجتمعات الشمولية (السلطوية، الشيوعية، التنموية) إلى تفعيل دور الإعلام كأداة إقناعية لسياسات وبرامج الحكومات والمؤسسات الاجتماعية، تجد وسائل الإعلام الليبرالية أنها تتوجه إلى درجة أقل في تبني هذه الوظيفة، وتتجه ألا تكون ضمن أدوات السلطة التي تسعى إليها لتمرير سياساتها وبرامجها.

د ـ الإعلام المدني

تمثل الصحافة المدنية civic journalism تطورا جديدا في وظائف الصحافة، وتأتي كردة فعل للنقد الذي توجه ضدها من مختلف الجماعات والثقافات، وهذه الوظيفة بشكل أساسي تصب في إطار الدور الاجتماعي لوسائل الإعلام، وتحديدا الأفكار الرئيسة التي طرحتها نظرية المسؤولية الاجتماعية، وقد راجع جوناراتن(١٩٩٨م) الأدبيات العامة في هذا الموضوع، ولخصها في النقاط التالية:

١ ـ محاولة وصول الصحافة ووسائل الإعلام إلى الجمهور بشكل مكثف عبر الأخبار والتقارير والتحقيقات، ومحاولة إعطاء فرص مستمرة للمواطنين كي يعبروا عن آرائهم واتجاهاتهم ومطالبهم واحتياجاتهم عبر هذه الوسائل.

٢ـ تعزيز الوظيفية التفاعلية للإعلام مع الجمهور، بإتاحة الفرصة لأن تكون وسائل الإعلام صوتهم الذي يعبر عنهم.

٣ـ حركة داخل الإعلام للتحقيق وإعادة التحقيق في الحياة العامة، بمختلف مستوياتها ومجالاتها، وهذا يتم من خلال إشراك المواطن في عمل جماعي لتنمية وتطوير أداء المؤسسات الاجتماعية.

ويرى صادق اسماعيل أنه على الرغم من التحديات الكبيرة التي تواجهها الصحافة بفعل تأثير الاعلام المرئي والمسموع،وانتشاره بين الناس،فإن الصحيفة اليومية المقروءة ما تزال تعد من اهم ظواهر الحياة الثقافية الحديثة،كما يشير الباحث رياض زكي قاسم في احد بحوثه عن اللغة والاعلام،اذ ما تزال الصحافة الورقية تمتلك الحق في انتزاع اهتمامنا، وفضولنا الثقافي، فهي الى جانب وظيفتها التقليدية في نقل الخبر بالكلمة

والصورة،وتحليله،والتعليق عليه، فإنها كذلك، تجعل من عنصر الرأي والتفسير والتوجيه والتلميح والنقد امرا جوهريا يمس المواطنين في كبد وصميم حياتهم سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

وتأسيسا على ذلك فإن وظائف الصحيفة المقروءة تغدو متعددة،متنوعة، ولا سيما في وظيفتها المهمة التي تتبنى نشر الثقافة و تنميتها.

تزداد اهمية الصحيفة الحديثة بامتلاكها لذلك الفيض الذي اتاحه لها النص بالكلمة المطبوعة، اوبما يقدمه المحللون السياسيون والاقتصاديون والاجتماعيون والرياضيون من معالجات لآثار العصر إلى صفحاتها – الكثر،بمايجعل توجهاتها واختصاصها شأنا ثقافيا بامتياز، ووسيلة اتصال جماعية من الدرجة الاولى.

ويرى الاستاذ محمد حسنين هيكل أنه من وجهة نظر عملية وعلمية كذلك فإن الصحافة على تنوع وسائلها وأدواتها لديها ثلاثة طرق اقتراب واضحة إلى وظيفتها الحيوية في مجتمعات الحرية والتقدم.

أول طرق الاقتراب: أن تكون الصحافة مكتوبة أو مسموعة أو مرئية خطوطًا مفتوحة تنقل القرار السياسي على اختلاف مجالاته: داخلية وخارجية اقتصادية واجتماعية استراتيجية وعسكرية من مواقع صُنعه إلى أوسع دوائر المواطنة التي يهمها شأنه، بحيث يتأكد الحق العام في العلم به، وتتوافر إمكانية التعرف على موجباته، والاستعداد لآثاره وتكاليفه والاطمئنان إلى اتساقه مع الإدارة العامة في الوطن وخارجه، ولكي يظل تحت المتابعة الدستورية والقانونية، ويصبح الرأي العام قادرًا على ممارسة مسؤولية الرقابة عليه، والقدرة على إعادة توجيهه ديمقراطيًا إذا لزم.

وطريقـة الاقتراب الثاني: أن تكون وسـائل الصحافة وأدواتها خطوطًا مفتوحة أيضًا ما بين مجالات الفكر والعلم والفن من مراكز حيويتها، سواء في الجامعات، أو المعاهد ومراكز البحث، أو مسـارح العرض والأداء وأشكالها المتعددة في التعبير إلى جمهور واسع له الحق في أن يرى ويستوعب ويستمتع.

وطريقـة الاقـتراب الثالـث: أن تحاول نفـس الوسـائل والأدوات بذل قصـارى جهدهـا كي تنقل وتسـتثير أنفع وأرفـع حوار بين القرار السـياسي وشـؤونه الجاريـة وقضايـاه واهتماماته وبـين الأفكار وقدرتهـا على تخصيب الفعل الإنسـاني وتوليـده، لكي يجمع الحـوار ما بين الفعـل والفكر، ويؤكد القيمة ويحفز إرادة إنسانية ذكية وقوية، وهنا فإن التوافق بين الجامعة العريقة ووكالة الأنباء الشهيرة يصبح مرغوبًا فيه ومطلوبًا.

إن طـرق الاقتراب الثلاثـة كما وصفتها لا تحقق مطلوبها بهذه البسـاطة التـي وصفتها، فالواقع العملي أكثر تعقيدًا، لأن مراكز صُنع القرار لا تمارس فعلها في المثالي المفترض، وإنما تمارسـه تحت سـطوة صراعـات تاريخية كبرى ومصالح يتعارض بعضها مع بعض، والكثير منها غائر في زمانه أو ممارساته، وفي ظل هذه الأحوال فإن القرار السياسي تحكمه بالقطع عوامل غير مثالية.

بالتـوازي فإن مجالات صُنع الأفكار ومنجزات العلوم وتجليات الفنون لا تطـرح مـا لديها في ذات الفضاء المثالي المفـترض، وإنما تتأثر هذه المجالات في مجمـل نشـاطها بضغوط يناسـبها أن تضرب علها تزيـح، أو تحجب علها تحتكر، وهنا تبرز عوائق تعرقل المثال الحر للقيمة والقدوة.

يـلي ذلك أن قنـوات الاتصال التي تمثلها الصحافـة لا تمارس دورها في نقل الأخبار والأفكار وصوت وصدى الحوار على خطوط مسـتقيمة سالكة ومطهرة، وإنما تتعرض قنواتها المفتوحة على الطرق الطويلة لأنواع ودرجات

مـن التدخل والتحيز تمليها الصراعات والضغوط والمصالح، وحتى الأهواء والأمزجة.

وتعـد وظيفة الاسـتطلاع أو مراقبـة البيئـة:وهي أهم وظائف وسـائل الإعلام، وكذلك الصحافة وهي ما درجنا على وصفه بدور وسائل الإعلام في اسـتقصاء الأنبـاء والمعلومـات ؛ فهـذه الوسـائل الإعلامية بـما تملكه من شـبكات واسـعة في جميـع أنحـاء العالم مـن مراسـلي الصحـف والتليفزيون والإذاعة تسـتطيع بالطبع أن تجمع المعلومات التي قد نعجز نحن أنفسنا على الحصول عليها إضافة إلى التقارير.

ويقسم البعض وظيفة الاستطلاع أو مراقبة البيئة إلى نوعين رئيسيين:

الأول: الاسـتطلاع التحذيـري والـذي يتمثـل في قيـام وسـائل الإعـلام بإبلاغنـا عن المخاطر التي تهددنا مثل الهجوم العسـكري، والكسـاد الاقتصادي، وزيادة التضخم.

الثاني: وهو الاسـتطلاع الأدائـي أو الخدمي فيتمثل في نقـل المعلومات التي يستفيد منها الأفراد وتساعدهم في حياتهم اليومية.

وفي ظل اعتمادنا على وسـائل الإعلام لأداء هذه الوظيفة الاسـتطلاعية وبعـد أن أصبحـت الأنبـاء تنتقـل بشـكل أسرع بكثـير وخاصـة منـذ مجيء الإعلام الإلكتروني ، المتمثل في القنوات الفضائية، ثم شبكة الإنترنت، وإذا كان الأمر فيما مضى يستغرق شـهورًا لانتقال الأنباء عبر المحيط الأطلنطي، اصبح الآن لا يستغرق سوى ساعات قليلة، بل ودقائق، إلا أن هذه السرعة قد صاحبتها بعض السـلبيات والوقوع في مشكلات مثل عدم الدقة وتشويه الأنباء، وربما تزييف الأنباء أو توجيه الرأي العام نحو وجهة معينة.

وهـذه الوظيفـة تتصل بأهـم الغرائـز البشرية وأظهر صفـة من صفات الإنسان الاجتماعية وهي حب الاستطلاع لمعرفة الأنباء والاطمئنان إلى البيئة داخليًا وخارجيًا، ومن الثابت أن رغبات الفرد كالبحث عن الطعام والمأوى والجنس ترتبط برغبات أخرى كالتعرف على الآخرين ومراقبة البيئة، وجمع المعلومات المفيدة عن الطبيعة والإنسـان والحيوان، وهذه هي أهم سـمة من سمات الإنسانية التي تساعد الفرد على التكيف مع البيئة والانسجام مع غيره مـن الناس الذين يعيشـون معه، لأن هـذا التكيف مع البيئة والانسـجام مع الجماعة هو الدليل على الصحة النفسية والسلامة الاجتماعية.

ينتج عن عملية الاسـتطلاع ومراقبة البيئة التي تقوم بها وسائل الإعلام وعلى رأسـها الصحافة، تحقيق الوظيفـة الإخبارية، التي تختص بإمداد القراء بالأخبـار، والتـي يشـترط أن يحصـل عليهـا كـمادة أخبارية صرفـة، لا يجوز التحريـف فيهـا أو التغيير وذلك يسـتلزم احترام قدسـية الخـبر، أما في حالة التعليـق على الأخبـار فيمكن للصحيفة أن تقوم بذلك بطرق مختلفة تتفق مع الفئـات المختلفة لجمهور الصحيفة، ومهمة التعليق الأولى هي توضيح نقاط الخبر الغامضة.

وتشترط الوظيفة الإخبارية توافر ثلاثة عناصر:

١ ـ التكامل، ولذلك فلابد من تتبع الخبر من نشأته حتى نهايته، والبحث عن العناصر المكملة له سـواء عن طريق المصادر الأصلية أو أقسـام المعلومات.

٢ ـ الموضوعية، وهي أهم مبادئ تحرير الخبر في المجتمعات الديمقراطية، إلا أن الموضوعية الكاملة حالة مثالية، لا يمكن تحقيقها، ومهما حاول الصحفي الوصول إليها فسـوف تظهر بعض العناصر والاتجاهات

الفرديـة، وعلى الرغم من ذلك فإن الالتـزام بالموضوعية هو الركن الأسـاسي لكل عمل صحفي. ولتحقيـق هذا المبدأ لابد من البحث والتحقـق من صحـة الخبر وأركانه، وهنا لابد مـن التفرقة بين عدم كفايـة الموضوعيـة لأسـباب خارجة عـن الإرادة، وبـين التحريف المتعمد للخبر.

٣ـ الوضـوح: والمقصـود هو الوضوح في العرض الـذي يؤدي إلى فهم المحتـوى، ولذلك فعـلى الصحافة أن تعرض الأخبـار والتعليقات بطريقـة واضحـة يفهمهـا المختصون وعامة الشـعب على السـواء، وتنطـوي مهمـة الوضـوح في العرض في أحـد جوانبهـا على خطر التبسـيط الذي قـد يذهب بهـا إلى التحريف، وبالتـالي إلى عدم فهم المشكلة كما ينبغي، ومن هنا ينبغي الحذر من المبالغة في التبسيط لان ذلك يؤدي إلى شعور بعض الفئات بإهمالهم.

وجوهـر الوظيفـة الإخباريـة للصحافـة هـو تقديـم تقاريـر تتضمـن معلومـات عـن أحداث وأفـكار حالية وسـابقة وذلك من خلال الأشـكال الصحفية المختلفة خاصة الأشكال الإخبارية.

ولكن الوظيفة الاخبارية للصحافة لاتشفي نهم القارىء لمعرفة الأسباب والدواعي والخلفيات وفهم حقيقة ما حدث وتوقع ما قد يحدث، وهنا تستطيع الصحافـة من خلال توظيف التحقيق الصحفي اسـتكمال الوظيفة الاخبارية وتعميقها من تحقيق مجموعة من الوظائف الصحفية من أبرزها:

١ـ وظيفة توثيق الأحداث

نجـم عـن الوظيفـة التقليديـة للصحافـة وهـي الإعـلام أو الأخبـار، وظيفـة جديـدة هـي التوثيـق فسرعة تطـور العلـم الحديث تجعـل المؤلفات

الانسيكلوبيدية أو الموسوعية وكذلك القضايا والموضوعات التي تعالجها الكتب حقائق قديمة، وهكذا تجد الصحافة المعاصرة نفسها، وقد اسند إليها دور تجديد المعلومات والمعارف وملاحقتها، وذلك بفضل دوريتها التي تسمح لها بالقيام بهذا الدور خيراً مما يقوم به الكتاب الذي لا يعاد طبعه بسرعة دورية الصحيفة، فضلاً عن أن عدد قراء الكتاب أقل بكثير من عدد قراء الصحيفة.

وقد شهد العالم خلال الأربعين عاما الماضية ما يمكن أن نسميه بثورة المعلومات التي تجاوزت كل توقعات المؤرخين، ولم يعد في قدرة الكتاب المطبوع بشكله المعروف أن يلبي حاجة المؤرخين إلى رصد الوقائع التاريخية المتلاحقة أو متابعتها، وهو الدور الذي نجحت الصحافة في القيام به؛ فالصحافة اليومية تقدم للمؤرخ وقائع الحياة الاجتماعية في حركتها اليومية في حين تقوم المجلات الأسبوعية بتلخيص هذه الوقائع وتحليلها، والصحفي يكون مصدرًا رئيسيًا للمؤرخ حين يتعلق الأمر بتسجيل وقائع الحياة اليومية أو حين يتعلق الأمر برصد الاتجاهات الفكرية للأحزاب والأفراد أو حين يتعلق الأمر بدراسة تاريخ الصحافة نفسها.

وتكون الصحافة مصدرًا للتاريخ عندما يتعلق الأمر بدراسة الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية لمرحلة معينة من المراحل التاريخية في مجتمع معين.

والصحافة كمصدر للتاريخ تقوم بوظيفتين: أولها: رصد الوقائع وتسجيلها ووصفها والاحتفاظ بها للأجيال المقبلة كي تعتبر أحد مصادر التاريخ، وثانيها: القيام بقياس الرأي العام وآراء الجماعات والتيارات المختلفة إزاء وقائع أو قضايا تاريخية معينة.

٢ـ وظيفة الشرح والتفسير والتحليل

لا تستطيع الصحافة الوفاء بحق الجماهير في المعرفة من خلال استقاء الأنباء ونشرها فقط أو تقديم أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الأحداث الداخلية والخارجية، بالرغم من أهمية المعلومات في حد ذاتها، وأنها تعتبر الركيزة التي يقوم الأفراد بصياغة قراراتهم ومواقفهم على أساسها.

إلا أن تقديم البيانات والمعلومات في ذاتها عملية غير كافية، لذلك فلابد أن تقوم الصحافة بتحليل هذه الأحداث وتقديم شرح وتفسير لها، فالكثير من الأحداث لا يمكن فهمها دون معرفة خلفية هذه الأحداث وتطورها التاريخي، وإهمال تقديم هذه المعلومات الخلفية يؤدي في الكثير من الأحيان إلى عملية تضليل وسوء فهم لهذه الأحداث.

ويرى البعض أن التحليل أو التفسير والتعليق يمثلان جانبا مهما من الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام سواء من ناحية الجمهور أو من ناحية الوسائل ذاتها، فمن ناحية الجمهور تبدو كثير من الأخبار غير مفهومة وغير ذات دلالة ما لم تقدم لها خلفيات تاريخية أو شروح لبعض المصطلحات أو تفسيرات لدلالاتها، وعلى الرغم من أهمية الحقائق كأساس للتقارير الإخبارية إلا أنها بحاجة إلى تفسير.

وتلجأ الصحافة إلى استخدام أشكال صحفية عديدة لأداء مهمة تحليل وتفسير الأحداث والتعليق عليها مثل:

ـ التحليلات الإخبارية.

ـ المقالات الافتتاحية.

ـ التغطية التفسيرية.

ـ التفسيرات والملخصات الأسبوعية للأحداث.

ـ الرسوم الكاريكاتورية الساخرة.

ـ التحقيقات والحملات الصحفية.

ـ الأعمدة الصحفية.

ـ مقالات التعليق.

ـ رسائل القراء.

٣ـ وظيفة تكوين الرأي العام

الرأي العام هو الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات، أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة، فالرأي العام يمثل محصلة الآراء والأحكام السائدة في المجتمع. وهذه الظاهرة تكتسب صفة الاستقرار وتختلف في وضوحها ودلالاتها في عقول الأفراد، ولكنها تصدر عن اتفاق متبادل بين غالبيتهم رغم اختلافهم في مدى إدراكهم لمفهومها، ومبلغ تحقيقها لنفعهم العام ومصلحتهم المشتركة.

وينبه البعض إلى أن المفهوم الشائع عن الرأي العام هو انه ليس مجرد رد فعل بسيط أساسه العرف والتقاليد، بل هو حصيلة امتزاج العواطف والأفكار، واختلاط التحيزات بالحقائق، وتصارع المصالح والمبادئ، وهو ليس رأيًا كليًا أو مطلقًا بمعنى الكلمة، فلا يكون مطلقًا في عموميته إلا نادرًا، ولذلك فإنه يقصد بالرأي العام في هذا المجال الرأي الغالب أما الرأي العام المتصل اتصالاً وثيقًا بالميراث الثقافي فيطلق عليه الاتجاه العام، وهو مجموعة العادات والتقاليد التي تمثل اتجاها ثابتًا يتصف بالدوام، بعكس الرأي العام الذي يتصف بالحركة والتغير.

ويصف البعض الصحافة بأنها تحتل المقام الأول من بين وسائل الإعلام كلهـا في التأثير علي الـرأي العام ويرجع ذلك لعدة أسـباب من أكثرها أهمية أن الصحافة تهتم أكثر من سـواها من وسـائل الإعـلام بالخوض في القضايا السياسـية والاجتماعية ومناقشتها بإسـهاب وعرض وجهات النظر المختلفة وخلفيات الأنباء وتفاصيلها،حيث أثبتت الصحافة في هذا العصر أنها قادرة تمامًـا على تشـكيل الرأي العام والقيام بدور قيـادي مؤثر في تكوين اتجاهاته، ومن أجل ذلك فإن النظم الديمقراطية في العالم تحرص على إعطاء الصحافة أكبر قدر من الحرية لتكون المرآة الصافية التي تعكس آمال الشـعب وآلامه، وأحلامـه وتطلعاتـه، ورضاه أو سـخطه، ولتقـوم أيضـًا بدورها ورسـالتها الهامة في توعيته وتنويره في صدق وشرف والتزام.

ويقسـم الدكتور مختار التهامي محتويات الصحيفة بالنسـبة لمدى تأثيرها على الرأي العام إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ القسـم الأول: لـه علاقـة مباشرة بتوجيـه الرأي العـام كالافتتاحية والكاريكاتـير والأعمـدة وبريـد القـراء والمقـالات الاجتماعيـة والسياسـية والاقتصاديـة والنقد الأدبي والفنـي والإعلانات حيث يتسـم هذا القسـم من مـواد الجريـدة بالتحيـز المتعمد الـذي يرمي للتأثير في الرأي العام.

٢ ـ القسـم الثاني: قسـم له علاقة غير مباشرة بتوجيه الرأي العام، فبرغم أن الطرائـف والقصص القصيرة والهزليات والمواد المثيرة بصفة عامة والتـي قد تدور حول الخرافة والجنـس والجريمة قد لاتكون موجهة بصفـة أساسـية للتأثير في الـرأي العام إلا أنها تؤثر بلا شـك في القيم الخلقية والثقافية للجمهور وخاصة الشـباب وصغار السن، مما لابد أن ينعكس أثره على أحكام الرأي واتجاهاته إن عاجلاً أم آجلاً.

٣ـ القسم الثالث: قسم ليس له علاقة بتوجيه الرأي العام، ومن المواد الصحفية التي تندرج تحت هذا القسم صفحة الوفيات والنشرة الجوية وبرامج الإذاعة والتليفزيون والسينما، فمثل هذه المواد لا تثير النقاش عادة على نطاق عام وليست موجهة في الظروف العادية إلى تكوين رأي عام حول مسألة معينة.

وان كانت هناك أحيانا استثناءات تفرضها أوضاع بعينها ومن هذا القبيل الحملات الدعائية المغرضة التي قد تقوم بها بعض الجهات والتي تستغل عادة كل أبواب الصحيفة لتحقيق أغراضها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

والصحافة تؤثر في الرأي العام عن طريق الخبر والمقال والتعليق والأحاديث الصحفية والتحقيقات والإعلان والصور والرسوم الكاريكاتورية وما بين السطور.

وحتى تكون الصحافة وسيلة بناءة لتكوين الرأي العام، وأداة حقيقية للتوعية والتنوير، لابد أن تتمتع بأكبر قدر من الحرية، فالصحافة المقيدة عقيمة وعديمة القيمة، ولا تأثير لها على الإطلاق على المجتمع، والكاتب الذي تقيده المحظورات والمحاذير، لا يستطيع أن يسطر بقلمه كلمة نافعة أو مجدية، لان فاقد الشيء لا يعطيه، وهو عاجز بطبيعة الحال عن أن يقدم فكرة سليمة، أو رأيًا صائبًا، أو وجهة نظر ذات مضمون.

٤ ـ وظيفة الرقابة على مؤسسات المجتمع

من الوظائف التي يجب أن تقوم بها الصحافة الحرة ـ صحافة المجتمعات الليبرالية ـ نيابة عن المواطنين حراسة المجتمع من إساءة استخدام السلطة، انطلاقًا من أن الحكومات حتى وإن وصلت إلى الحكم عبر الطريق

الديمقراطـي فإنهـا قد تميـل إلى الانفراد بصنـع القرارات، وإلى حماية نفسـها وأشـخاصها، ومـن هنا فـإن هنـاك إمكانية كبـيرة في كل أنـواع المجتمعات لإسـاءة اسـتخدام السـلطة، والصحافة تكمل دور البرلمان في حماية المجتمع من ذلك.

كما أن الصحافة لابد أن تعمل على حماية المجتمع ضد استغلال السلطة، ذلـك أن الكثـير من الأشـخاص في المجتمعات المختلفة يقومون باسـتغلال سلطاتهم لتحقيق مكاسب أو منافع شخصية على حساب المجتمع ويقومون بإهدار إمكانات المجتمع لتحقيق هذه المنافـع الشخصية.

والصحافـة الحرة المتعددة والمتنوعة هي التي تسـتطيع حراسـة المجتمع وحمايته من الكثير من المشاكل التي تحدث.

ويساعدها على القيام بهذا الدور الحرية الواسعة التي تتمتع بها الصحف في هـذه المجتمعـات الليبراليـة مـن ناحيـة ثـم الحماية التـي يكفلهـا القانون للصحـف التـي تتعرض لقضايا الانحرافات من بطش السـلطة الحاكمة من ناحيـة ثانية، كذلـك فالقانون في هذه المجتمعات يعطـي الصحفي حق عدم الإفشاء بأسماء المصادر التي تغذيه بالمعلومات من ناحية ثالثة.

كـما أن الصحافـة تسـتطيع أن تجعل المجتمـع كله هو صاحـب القرار، وبالتالي فإن المجتمع يستطيع أن يجبر الحكومة على القيام بعمل معين لصالح المجتمـع، وعلى سـبيل المثـال فقد قامـت جريـدة النيويورك تايمـز وجريدة الواشـنطون بوسـت في عـام١٩٧١م، بنـشر أوراق البنتاجون حـول الدور الأمريكي في فيتنام واكتشـف الشعب الأمريكي أن الحكومات المتعاقبة التي تنتمي إلى الحزبين الجمهوري والديمقراطي كانت تكذب عليه بشـكل منظم ومسـتمر، واكتشـف الكونجرس نفسـه انه لم يكن يعرف سـوى القليل عن

حـرب فيتنـام، كما أصيبت الحكومة بصدمة شـديدة نتيجة لنشر هذه الوثائق التي جعلت الشعب يعرف حقيقة ما يحدث في هذه الحرب، ولم تفلح الحكومة في محاولتهـا لمنـع الصحافة من نشر هذه الوثائق حيث أيـدت المحكمة العليا حـق الصحف في نـشر وثائق البنتاجـون. ونتيجة لذلك اضطـرت الحكومة الأمريكية إلى سـحب قواتها من فيتنام، ويعلق سانفورد بونجر على ذلك بأن الصحافة الأمريكية قد اسـتطاعت بهذا العمل أن تسـهم بشـكل ملحوظ في الحفاظ على حيوية النظام الأمريكي.

كذلك اسـتطاعت الصحافة الأمريكية بكشـفها لقضيـة ووترجيت أن تجبر الرئيس الأمريكي ريتشـارد نيكسـون على الاستقالة لكنها حافظت على العملية الديمقراطية في المجتمع الأمريكي.

قصة دون ميليت وديلي نيوز

في إحـدى ليـالي شـهر يوليـو عـام ١٩٢٦م، بعـد السـاعة الثانية عشرة والنصف بقليل، خرج دون ميليت، وهو شـاب مجاهد يصدر صحيفة « ديلي نيوز» في كانتون، بولاية اوهايو الأمريكية لكي يضع سـيارته في الحظيرة، في حـين كانت زوجته تعد القهوة لبعض الضيوف، فـدوت طلقات نارية، وما أن وصلـت الزوجـة إلى ميليت حتى وجدته مقتولاً برصاص أطلق عليه من كمين..

وقد مات ميليت وهو يحارب شيئين: الأول كما يقول بعض الصحفيين حتى الآن تفوق صحيفة « ربوز تيوري » المنافسة في التوزيع بنسبة ٣:٢. وقد أدت هـذه الحـرب إلى حرب أخـرى ـ وهي التي رفعت توزيـع صحيفته إلى مسـتوى قريب من الصحيفة المنافسـة ـ وهي حملة ضد المسـؤولين في كانتون الذيـن كانـوا يتحالفون مـع المجرمين. ويبـدو أن المدينة كانـت في حاجة إلى

إصلاح: فالمجرمون المطلوبون للعدالة كانوا يختفون في أمان، وحوادث القتل عن طريق العصابات كانت مجهولة الفاعل، كما أن أحد رجال الشرطة كان يحتكر بيع العطور للعاهرات.

وكانت صحيفة «ديلي نيوز» برئاسة ميليت، تطارد رجال الشرطة، وتهاجم رئيسهم، وتنشر أخبار الجرائم في أماكن بارزة ومساحات كبيرة، ويظن أن ميليت قد قتل بأيدي أعدائه خلال حملة من حملات الصحيفة، ولكن الغموض لا يزال يكتنف موته.

ومع أن ثلاثة أشخاص قد حكم عليهم بالسجن، بسبب الدور الذي قاموا به في حادث القتل، فإن أحدًا ـ فيما عدا القتلة ـ لا يعرف من هو القاتل؟! وما هو الدافع بالضبط للقتل، فلم يصب محررون آخرون بأذى لما قاموا به من حملات لا تقل ضراوة عن حملة ميليت، وهناك تعليل يقول إن ميليت قد قتل بسبب ماكان ينوي نشره، وليس بسبب ما نشره فعلاً.

وعلى ذلك فإن حملة ميليت قد طهرت المدينة لفترة قصيرة على الأقل. وتخليدًا لذكراه، تلقى مجموعة محاضرات تحمل اسمه في كل عام، ولمدة تزيد على ربع قرن يقوم محاضر مرموق بالتحدث عن جانب من جوانب الصحافة، للمحافظة على روح كفاح ميليت حية في نفوس غيره.

وشهد عام ١٩٧٠م، العديد من فوز الصحف الأمريكية بجوائز لحملاتها الصحفية. فقد فازت صحيفة «نيوزداي» ـ التي تصدر في لونج ايلاند ـ بجائزة توليزر الثانية تقديرًا لها على ما قامت به من خدمة عامة، فقد قامت بحملة لمدة ثلاث سنوات، كشفت فيها عن الصفقات السرية للأراضي، وما قام به رجال السياسة والموظفون من تلاعب في المناطق الشرقية من لونج ايلاند، وقد أدت الحملة إلى إدانة ثلاثة أشخاص، ووقف أربعة عن أعمالهم الرسمية، أو عن عضويتهم في الأحداث السياسية، واستقالة أربعة.

كما أدت إلى إصدار قانون في الولاية، بان يتعلق بوضوح طلبات تقسيم الأراضي كافة. وقد ذكر بيان منح الجائزة أنه بالبحث في متاهة من سجلات الأراضي وغيرها من القانون، وعرض النتائج، أظهر المندوبون والمحررون في صحيفة «نيوزداي» تصميماً وشجاعة في وجه التهديدات، والأعمال العدوانية التي قام بها السياسيون، الذين هاجمتهم الصحيفة لما ارتكبوه من أخطاء.

كما فازت صحيفة «ادفيرتايزر» وصحيفة «الاباما جورنال» اللتان يصدرهما هارولد مارتين في مونتجمري بولاية الاباما، بجائزة بوليتزر، لانهما قامتا بنشاط صحفي محلي خاص أدى إلى فضح الاستخدام التجاري للمسجونين في الاباما لإجراء التجارب على الأدوية، وقد توقف هذا البرنامج الذي فضحه مارتين، كما فضح أيضاً التجارة في بلازما الدم التي كانت تؤخذ من المسجونين، حتى أدى ذلك إلى ثلاث وفيات بأمراض الكبد.

وقد منح وليم.ح.انيون من جريدة شيكاغو دايلي نيوز جائزة بوليتزر لما قام به من نشاط صحفي على المستوى القومي، لاستقصاء مؤهلات القاضي كليمنت هاينزورث التي ترشحه لعضوية المحكمة العليا، في الولايات المتحدة.

وقد ساعدت تغطية ايتون الإخبارية على هزيمة هاينزورث بعد أن كانت صحيفة نفسها قد أيدت تعيين هاينزورث في مقال افتتاحي.

وقد ربح سيمور هيرش من وكالة ديسباتش نيوز جائزة بوليتزر لما قام به من تغطية إخبارية في سلسلة من المقالات عن القتل الجماعي للفيتناميين في مذبحة ماي لاي.

وكشفت بعض الصحف الأمريكية أيضـًا عن تهرب سبيرواجني نائب الرئيس الأمريكي السابق نيكسون من دفع الضرائب وحصوله على رشاوى من بعض كبار رجال المال لتسـهيل صفقاتهم مع الحكومة بالإضافة إلى عدد آخر من التهم. وقد انتهى الأمر بإجباره على تقديم استقالته.

ثـم هنـاك أيضـًا الكشـف عـن فضيحة رشـاوى شركة لوكهيـد والتي أحاطت برئيس وزراء اليابان وعدد آخر من كبار المسـؤولين في العالم وذلك لتقاضيهم رشاوى من هذه الشركة لتسهيل صفقاتهم التجارية مع الحكومات التي ينتمون إليها.

وفي بريطانيا تم الكشـف عن فضيحـة بروفيمو وزير البحرية البريطانية الـذي تـورط في علاقـة غـير شرعية مـع كريسـتين كيللـر وقد اسـتغل أحد الجواسيس هذه العلاقة للحصول على معلومات عن الجيش البريطاني.

وفي فرنسـا أثـيرت قضيـة هدية الماس التـي قدمها الإمبراطور بوكاسـا امبراطـور أفريقيا الوسـطى السـابق إلى الرئيس الفرنسي جيسـكار ديسـتان عندما كان يشغل وزير المالية قبل توليه منصب الرئاسة.

وفي إيطاليـا تم الكشـف عـن فضيحة مالية كـبرى تورط فيهـا الرئيس الإيطالي جيوفاني ليوني وقد انتهى الأمر باستقالة الرئيس الإيطالي.

وفي ألمانيا (الغربية) أثيرت قضية تورط سـكرتير المستشـار الألماني فيللي برانت في حلقة جاسوسـية تابعة لألمانيا (الشرقية) وقد انتهى الأمر باسـتقالة المستشار الألماني.

وتـرى الباحثـة الأمريكيـة الين هيـوم أن تأديـة وظيفة الرقيب بشـكل جيـد تكـون في الكثـير مـن الأحيـان أصعـب أدوار الصحافـة. فالوكالات والمسـؤولون الحكوميـون لا يرغبـون دائماً في ممارسـة الشـفافية خاصة أنه لم

يكـن للبلد سـجل في ممارسـة تقليد إخضاعهـم لتفحص الشـعب لهم. ففي جورجيـا مـا بعد العهـد السـوفياتي، مثلاً، بثّت محطـة التلفزة «روسـتافي ٢» تقاريـر تحقيقيـة مثبتـة عن مجالات مـن الفسـاد الحكومي. وعندمـا حاولت الحكومة إقفال محطة التلفزيون بدلاً من تصحيح المشاكل، احتشد المواطنون بأعـداد كبيرة احتجاجاً، فأجبرت تظاهراتهم دفاعاً عن وسـائلهم الإعلامية المسـتقلة الحكومة على إقالة أعضاء الحكومة الفاسدين وسمحت «لروستافي ٢» باسـتئناف البـثّ. مَثَـل آخـر هذه المـرة من الهنـد، حيث ضُبـط «بانغارو لاكسـمان»، رئيس حزب «بهارتيا جاناتا»، على شريـط فيديو صَوّره صحافي متخـفٍ يعمـل في (tehelka.com.internet)، وهو يتلقى المال عما كان يعتقد أنـه صفقـة سـلاح. وقد أسـفر الغضب الشـعبي، بعـد وقوعـه في الشرك/ الفضيحة، عن طرد عدد من كبار الوزراء. فوسائل الإعلام التي تؤدي عملاً شريفاً وتُحمّل الحكومة المسـؤولية بوسعها أن تسـاعد في دعم سيادة القانون وتخلق بالتالي مزيداً من الاسـتقرار في البلاد. وهذا الاستقرار سيجعل البلاد أكثر قدرة على اجتذاب الاسـتثمارات الاقتصادية الطويلة الأجل. وكما أشار دايفد هوفمان، مؤسـس إنترنيوز، الوكالة الدولية غير الحكومية التي تسـاعد في تدريـب وتطوير وسـائل الإعلام المسـتقلة في ٥٠ بلـداً: «إن حرية التعبير وتبادل المعلومات ليست مُجرد كماليات، إنها العملة المعتمدة بشكل متزايد في التجارة والسياسة والثقافة العالمية» .

٥ ـ وظيفة توحيد الأمة وتحقيق التماسك

يزداد تماسـك المجتمع وتوحده حول أهداف عليا يسـعى إلى تحقيقها أو حلم عام مشترك، ولاشك أن الصحافة تستطيع أن تقوم بدور مهم في تحقيق هذه الوحدة وهذا التماسك حول هذه الأهداف العليا.

كما يزيد من تماسك المجتمع إحساس أفراده بالتميز الحضاري والثقافي والإحساس بأن لهم حيوية تميزهم عن غيرهم من الشعوب، وتستطيع الصحافة أن تقوم بدور حاسم في هذه العملية فتعمل على تعميق الأساس بالهوية والتميز الحضاري والثقافي للامة من خلال التوعية الدائمة للشعب بالرموز التاريخية والوطنية، والإسهامات التي قدمها الشعب أو أسلافه في الحضارة الإنسانية، بالإضافة إلى نقل التراث الثقافي إلى الأجيال الجديدة بما يسهم في تحقيق الارتباط الثقافي بالوطن.

كما تقوم الصحافة بالتوعية الدائمة بالمنظومة القيمية للأمة، والدفاع عنها، وزيادة قدرة المجتمع على التمسك بها وحمايتها، وهو ما يسهم في النهاية في توحيد إطار الخبرة المشتركة للشعب، ويزيد من إمكانية التفاهم بين أفراده، ولاشك أن الصحافة هي أقدر وسائل الإعلام على القيام بهذا الدور.

٦ ـ وظيفة التنمية الثقافية

يسود منذ أوائل السبعينيات مفهوم جديد للثقافة يوسع نطاقها بحيث يشمل أساليب حياة الشعوب، ويعتبر التنمية الثقافية عنصرًا أساسيًا من عناصر التنمية الشاملة لأي مجتمع، فالثقافة لم تعد هي الآداب والفنون الرفيعة المستوى التي يقبل عليها الصفوة من المواطنين، بل هي نظرة الناس إلى الكون والحياة وسلوكهم في حياتهم اليومية الخاصة والعامة وبالتالي فهي تشمل العقيدة والفلسفة والعلم والأدب والفن وهي المعيار الذي يقيمون به الصواب من الخطأ وهي التراث الذي يصلونه إلى أجيال تأتي من بعدهم.

وثقافة الأمة هي تنظيم جميع السمات المميزة لها من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل والبحث الدائب

عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله.. إنها على الأقل تشمل ثلاثة مكونات هي: فيما يفكر الإنسان ؟ وماذا يفعلون ؟ وما هي المنتجات التي ينتجونها ؟ وعلى ذلك فان العمليات الذهنية والمعتقدات والمعلومات هي جوانب من الثقافة.

وتساهم الصحافة في بناء ثقافة المجتمع من خلال الدور المستمر الذي تؤديه بنشرها الأخبار والموضوعات المختلفة والمتنوعة يوميًا، والتي تساهم في تكوين قيم ومعتقدات ومفاهيم ورؤى أفراد المجتمع، ثم سلوكهم اليومي ونظرتهم إلى الحياة، وتبدو أهمية الصحافة الثقافية في اعتمادها على الكلمة المطبوعة ورخص سعرها وشعبيتها وبساطتها وإمكانية معالجتها لموضوعات متعمقة بعكس التليفزيون إلى جانب تغطيتها لكل اهتمامات القراء، إضافة إلى أن الدور التثقيفي للمدارس والجامعات كوسائط تثقيفية يتوقف عند سن معين، بينما يستمر دور وسائل الإعلام ومن بينها الصحافة في إمداد أفراد الجمهور بالمعلومات والآراء والخبرات والمعارف وهو ما يحقق التنمية الثقافية المتواصلة.

ويتوقف المستوى الثقافي لجمهور قراء صحيفة ما على نوعية المحتوى الذي تقدمه ومستواه، ما بين جريدة تقدم المعلومة الصادقة والتحليل الجاد والأخبار والتحقيقات التي تعالج قضايا المجتمع الحقيقية، أو ترفه عنه بأدب وتوازن، وبين جريدة أخرى تركز على المعلومات المحرمة، والأخبار المختلفة، والقصص المثيرة، والصور العارية الفاضحة.

٧ ـ الوظيفة التنموية

والدور التنموي للصحافة يمكن أن يتحقق من خلال أكثر من مستوى:

المستوى الأول: تركيز الانتباه على قضايا التنمية ومشكلاتها وجوانبها المختلفة، حيث يزداد الآن اعتماد المجتمع العصري الحديث على وسائل الاتصال الجماهيرية قياسًا إلى أشكال الاتصال التقليدي أو المباشر، ومن هنا تأتي أهمية هذه الوسائل الجماهيرية نظرًا لأنها ستتحكم في نوع المعلومات التي يمكن أن تبثها إلى الجماهير وقيمتها ومضمونها، وبالتالي فهي التي تتحكم ـ إلى حد كبير ـ فيما يمكن أن يعرفه الناس عن موضوعات وما يتحدثون فيه من قضايا.

وهكذا فإن الصحافة يمكن أن تركز الانتباه على موضوعات أو جوانب معينة دون غيرها في مجال التنمية، مما يجعل لهذه الموضوعات تأثيرًا أكبر في آراء الناس في مجالات التنمية المختلفة واتجاهاتهم نحوها، كما يمكن الاحتفاظ بانتباه الجمهور ـ لفترة طويلة ـ مركزًا على التنمية عن طريق توجيه الاهتمام من حين لآخر إلى عادة جديدة أو سلوك جديد، أو فكرة مستحدثة يتطلبها التغيير أو تفرضها عملية التنمية، وبالتالي يمكن استخدام الصحافة بفعالية للتركيز على الموضوعات والقضايا المتنوعة المرتبطة بالتنمية، وذلك بدرجات متفاوتة على مدار مراحل التنمية المختلفة، بما يخدم أهداف التنمية، ويثير الاهتمام بالموضوعات المطلوب التركيز عليها، ويتيح معلومات كافية عنها، ويوجه عملية الاتصال التوجيه المباشر ـ والتي تؤثر في عملية تبني الأفكار المرغوبة واتخاذ القرارات بشأنها ـ يوجهها في الاتجاه المحابي لمتطلبات التنمية.

المستوى الثاني: المساهمة في خلق المناخ الصالح للتنمية، وذلك عن طريق رفع التطلعات وبعث الطموحات لدى الأفراد نحو حياة أو مستقبل أفضل عليهم أن يعملوا على تحقيقه والوصول إليه، كما يمكن للصحافة أيضًا أن تسهم في تقديم المواد التي تساعد الجماهير على تغيير واقعهم الاجتماعي والثقافي والفكري والاقتصادي إلى واقع أرقى حتى يمكنهم الإسهام الإيجابي في تطوير بلادهم، وقد أثبتت دراسات بعض الخبراء أن وسائل الاتصال الجماهيري ذات تأثير فعال في رفع التطلعات، وأكدت هذه الدراسات نفسها أن التوجه نحو المستقبل الذي يعكس ازدياد الرغبة والتطلع إلى حياة أفضل، كما ينعكس في قدرة المواطن على تخطيط هذا المستقبل ـ يعتمد اعتمادًا أساسيًا على المعلومات المتوافرة لديه والتي تتيح له إمكانية هذا التخطيط، كما يذهب كل من ماكليلاند وليرنر إلى أن وسائل الاتصال الجماهيرية تستطيع تعلية تطلعات الشعوب واستثارة طموحاتها شريطة أن تدرك الحكومات مخاطر هذه الاستثارة، وان تكون قادرة على إشباع التطلعات حتى لا يحدث إحباط لدى فئات الجماهير بين ما تتطلع إليه وما يمكنها أن تحصل عليه فعلاً، وحتى يتحقق أكبر قدر ممكن من التوازن بين التطلعات والرغبات التي تستثيرها وسائل الاتصال وقدرة النمو الاجتماعي والاقتصادي على إشباعها، أي أن يكون هناك قدر من التوافق بين ما يثار الناس لأجله وما يمكنهم الحصول عليه، وأن تسعى الحكومات إلى سد الحاجات التي تستثيرها وسائل الاتصال الجماهيرية،وذلك كله تفاديًا لما يطلق عليه صدمة المستقبل كنتيجة حتمية للإفراط في الإثارة دون تحقيق درجة الإشباع المرتقبة، مما يضطر الفرد إلى التصرف بشكل يتجاوز مداه الكيفي.

المستوى الثالث: المساهمة في تنفيذ الحملات التنموية: حيث أظهرت على سبيل المثال التجارب الأفريقية في استخدام الصحافة المحلية، الإمكانات الهائلة للصحافة في مساندة حملات محو الأمية وفي الترويج للأفكار التنموية ووفرت تلك الصحف أيضاً مادة مقروءة ساعدت المواطنين على عدم فقدان المهارات التعليمية التي اكتسبوها، إذ توفر الصحف المحلية الفرصة والدافع للقراءة وتدعم الدروس التي تم تعلمها في الفصل الدراسي وتطور عادة القراءة.

وإضافة إلى ذلك قد توفر الصحافة الريفية معلومات تنموية بالإضافة إلى الأخبار وبهذا تساعد هذه الصحف على نجاح حملات تطوير الزراعة وتنظيم الأسرة والإرشاد الصحي...الخ.

وتشير بعض الحملات الرائدة الناجحة لمحو الأمية في بعض الدول إلى استعانتها بالصحافة في دعم المعرفة التي حصل عليها الأميون الذين محيت أميتهم،ففي كوبا خصصت الصحف اليومية صفحة كاملة كل يوم للقراء الجدد الذين محيت أميتهم تشتمل على أهم الأنباء مختصرة ومطبوعة ببنط كبير، وفي مصر كانت هناك محاولة لجريدة التعاون بالاشتراك مع المجلس الأعلى للإعلام الزراعي وبنك التسليف الزراعي ووزارة التعليم، وقد تضمنت المحاولة نشر لوحة مثبتة في وسط العدد الأسبوعي لجريدة التعاون تتضمن مجموعة من الكلمات موضحة بالرسم وإلى جانبها الحرف الأول من الكلمة ثم ترك مكان فارغ يكتب فيه الدارس كلاً من الكلمة والحرف، وكان الهدف من هذه المحاولة هو تعريف الدارس بعدد من الكلمات والحروف والتعود على كتابتها ونطقها نظرًا لمعرفته بما تقدمه الصورة، وقد اعتمدت الجريدة في إنجاح المحاولة على انتشار تداولها في الريف المصري واشتراك الجمعيات التعاونية فيها بما يتيح وصولها إلى المزارعين.

كما كانت هناك محاولة أخرى قام بها مركز سرس الليان لمحو الأمية وتعليم الكبار ـ التابع لمنظمة اليونسكو ـ إذ أصدر صحيفة « الساقية » كصحيفة شهرية متضمنة مواد متابعة لتنمية مهارات القراءة لدى المتخرجين حديثًا من مراكز محو الأمية واستهدفت هذه الصحيفة أساسًا جمهور الفلاحين في قرى العمل الميداني لمركز محو الأمية.

١ .٢ الفروق في الوظائف بين الجريدة والمجلة

ترتبط الجريدة عادة بالخبر الصحفي في تحقيق وظائفها ولذلك تتصدر وظيفة الإعلام كافة الوظائف الصحفية الأخرى بالنسبة للجريدة ، ويعتبر الخبر الصحفي في الجريدة الأساس للانتقال إلى تحقيق الوظائف الأخرى، مثل شرح وتفسير الوقائع والأحداث وتوعية الرأي العام نحو المستحدثات من النظم والقوانين وكذلك ما يقع من وقائع وأحداث.

وفي الوقت نفسه تقوم الجريدة من خلال الزوايا والصفحات المتخصصة لوظائف التعليم من خلال دعم التعليم الأساسي، أو تقديم المعارف والمهارات الجديدة التي تساعد في تطوير الإنسان والمجتمع، وكذلك تقوم الجرائد بالتسلية والترفيه، بجانب وظيفة الإعلان التي أصبحت الجريدة تعتمد عليها أيضًا باعتباره مصدرًا أساسيًا من مصادر التمويل ودعم استمرار الصدور بجانب المصادر المالية الأخرى.

وبالنسبة للوظائف الصحفية التي تقوم بها المجلة، فإنه باستثناء وظيفة الإعلام التي تكاد تكون الوظيفة الرئيسية للجريدة من خلال الخبر الصحفي، فإن المجلة تقوم بكل الوظائف الأخرى وبصفة خاصة التوعية وتوجيه الرأي العام من خلال الشرح والتفسير والتحليل والتعليق على أخبار الوقائع

والأحـداث، وكذلـك التعليـم وتطوير المهـارات الفردية والجماعيـة، المهنية والوظيفيـة، التي تظهـر بوضوح في المجـالات العلمية والفنيـة المتخصصة، التـي تهتم بالفروع النظرية والتطبيقية للعلوم المختلفة ونقل تجارب الآخرين في هذه المجلات إلى القراء أصحاب الاختصاص فيها.

ولا يعنـي هذا عدم قيام المجـلات بوظيفة الإعلام نهائيًـا، ولكن هناك مجـالات تهتـم بالخبر أساسًـا، سـواء الخـبر العـام الذي يهـم كل القـراء، في المجالات السياسـية والاقتصادية والاجتماعية والشـؤون الدولية، مثل مجلة تايـم الأمريكية التي تعتبر مـن المجلات الإخبارية وكذلـك وظيفة الإعلام المتخصص بتعريف أصحاب الاختصاص بما يستحدث في مجال التخصص، مثل المجلات المهنية، أو المجلات الفنية. فالمجلات تقوم بوظيفة نقل الحقائق والأفكار والمعلومـات إلى ملايين القراء، ولها قوة اجتماعية من خلال وظيفة التعليـم التي تقوم بهـا المجلات، ويعتمد عليها الكثيرون ليعيشـوا في بيئتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الواسعـة. وبالإضافة إلى ذلك فان المجلة تربـط القراء بوطنهم من خلال شرح الأحـداث والأفكار، وتعطيهم الحس الوطني تجـاه هذه الأفكار والأحداث، وتقوم بوظيفة الإرشـاد والتوجيه في الحياة اليومية، وتقدم إلى القراء التسلية والترفيه الذي يعتبر زهيد الثمن قياسًا إلى الوسائل الأخرى، بجانب التعليم والتعريف بالتراث الثقافي للأفراد.

وهكـذا يتضـح لنا أن الوظائف التـي تقوم بها المجلة تتقـارب كثيرًا مع وظائـف الجريدة، والوسـائل المطبوعة بصفة عامة، ولكـن يظل التفاوت في تحقيـق هذه الوظائف مرتبطًـا إلى حد بعيد بدورية إصدار المجلة، ومسـتوى تخصص محتواهـا، وقرائها، والفروق المرتبطة بالعملية الإنتاجية للمجلة عن غيرها من المطبوعات.

١ . ٣ استفادة التحقيق الصحفي من المدارس والتيارات الصحفية الجديدة

نجـح عـدد كبير من الصحفيين في الاسـتفادة من بعض أفـكار وآليات مدارس صحفية جديدة شـهدها العمل الصحفي في العالم خلال ربع القرن الأخير، وجاءت هذا الافادة على مستويين الأول: مستوى التفكير والتخطيط وجمع المعلومات والوصول الى خلاصات منها (مدرسـة صحافة التحديد)، والثاني على مستوى أسلوب الكتابة أو التحرير (تيار الصحافة الجديدة).

١ .٣ .١ مدرسة صحافة التحديد precision journalism

وهي مدرسـة صحفية ظهرت في الولايات المتحـدة على يد فيليب ماير وتدعو إلى استعمال أدوات البحث العلمي الاجتماعي في جمع المادة الصحفية وتصنيفها وتحليلها.

وتـرى هذه المدرسـة أن العمـل الصحفي خاصـة ـ التغطيـة الإخبارية بأشكالها المختلفة ـ هو بحث علمي لم يكتمل، أو بحث علمي ينقصه التدقيق في اختيـار منهج جمع المعلومات أو أسـلوب التحليـل والتقييم، في حين يرى البعـض النقيـض، وأن مـا يفعله الصحفي هـو مالا يجـب أن يفعله الباحث العلمـي بـل يصل البعـض إلى حد اعتبـار أن خطوات الصحفـي ورؤيته في التفكير والسـلوك ينبغـي أن تكون البداية التي يجـب أن تدرس في مقدمات مناهج البحث لكي يتجنبها أي باحث علمي يريد النجاح في عمله.

فـما هي الحقيقة في ذلـك ؟ وما الصلة بين الصحفي والباحث العلمي ؟ وما وظيفة كل منهما ؟ وما أوجه الاختلاف ؟ وهل هناك أوجه تشابه ؟ ولماذا

تثار هذه الدعوة ويشتد مثل هذا التيار لاستعمال أدوات البحث العلمي في العمل الصحفي، في جمع المادة الصحفية وتصنيفها وتحليلها والوصول إلى خلاصات منها.

١ .٣ .٢ الصحفي والباحث العلمي: الاختلافات الأساسية

الدور التقليدي للصحفي هو تقديم تقرير حالي للقراء عن الأحداث الراهنة التي تكون مهمة أو ممتعة أو كلاهما، وتحديد أي أحداث مهمة أو ممتعة بشكل كاف للدعوة إلي معالجتها وتغطيتها ونشرها، عملية يكون الحكم فيها المحرر الصحفي وسياسة الصحيفة التي يعمل بها، وبالطبع يتم اختيار بعض الأحداث، ولا يتم اختيار البعض الآخر أو على حد تعبير المعلق التليفزيوني الأمريكي Bruce Markon هذا بعض مما حدث» وليس تعبير. Walter Crankite المعلق التليفزيوني الأمريكي المعتزل»وهذا هو ما حدث».

وفي بعض الأوقات يحاول الصحفيون الذهاب إلى ما وراء التقرير البسيط عن حدث ويحاولون وضع هذا الحدث في إطار يعطيه معنى من خلال الافتتاحيات والأعمدة والتغطية الاستقصائية بينما يكون دور الباحث العلمي هو الوصول إلي معرفة علمية جديدة تأخذ شكل قوانين أو تقريرات عامة.

فالفارق الرئيسي بين البحث العلمي والمادة الصحفية أو الإعلامية لا يكمن فقط في إمكانية الاعتماد على معلومات ونتائج البحث العلمي، ولا في التقنيات الخاصة بنشر تلك المعلومات، بل إنه يتعلق بمجال المعلومات.

فالباحـث العلمي يتجاوز الواقع الخارجي، والأحداث اليومية، ليصل إلي الأقاليم البعيدة في المكان والزمان، وهو يتطلع إلي اكتشـاف القوانين التي تحكـم كل الحقائـق ومعرفـة العـالم بالقوانين الكونيـة هي التـي تمكنه من أن يمسك بالحقائق البعيدة.

والهدف الأسـاسي للعلم هو بناء نظرية، والنظرية، ببسـاطة هي تفسـير مـع بعض التعميـم، فالباحث العلمي ينظر إلى عدد مـن الأحداث الخاصة، ويهدف إلى إيجاد مبدأ لتفسيرها.

والوسـائل الاتصاليـة الإخبارية (ومـن بينها الجريدة اليوميـة) ترتبط بشـكل مميـز بحقائق وأحـداث مفردة وخاصـة ومعاصرة، ومحليـة، مرتبطة بالمكان (هنا) والزمان (الآن)، وهدف الصحفي على العكس من الباحث العلمي، هو وصف حدث واحد معين بدقة وبشكل كامل بقدر ما يستطيع.

فوسائل الاتصال الجماهيرية ـ على حد تعبير الباحث الاتصالي الأمريكي ليوبوجارت تخلق الاهتمام أو المتعة بالتركيز على الأفراد في حين أنه في بحوث العلوم الاجتماعية يتم التعامل مع الأفراد كحالات قابلة للدراسة فقط.

١ .٣ .٣ الصحفي والباحث العلمي: أوجه التشابه

هناك أوجه تشـابه أساسـية بـين الصحفي والباحـث العلمي من حيث المبـدأ أو الأهـداف العامـة ومجـال العمـل لكل منهـما، ولكن يظـل الخلاف الأساسي بينهما في المنهج، وأهم أوجه التشابه هي:

- محاولـة وصـف الحقيقـة مـن خـلال تحليـل الظواهـر الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية وجوانب سلوك الفرد وحركة المجتمع.

ـ وجـود قاعـدة أو أسـاس تجـربي (امبريقـي) Empirical وهو المدخل المنهجي الذي يعتمد على الملاحظة أو التجربة المباشرة.

ـ الاعتماد على التحري Verification كمدخل لجمع البيانات والحقائق.

ـ الاعتماد بشـكل أسـاسي على اكتشـاف دليل (برهان) يتـم من خلاله الوصـول إلى تقاريـر أو بيانات، أو أحكام، وهـذا الدليل أو البرهان يمكن أن يتنوع من ملاحظة المحرر الأولية لحدث مثل محاكمة قاتل، إلى الاختبـار المفصـل لفـرض عـن العدوانيـة في معمـل مـن معامل علـم النفس، ففـي الحالتين: الأسـاس امبريقي (تجـربي) يعتمد على الملاحظة.

ـ الموقف المتسـم بالموضوعيـة و الموضوعية من الناحيـة المنهجية عملية اتفـاق مراقبين أو ملاحظين أو اكثر على وصف شيء: تجربة أو اجراء أو قياس، هنا يوصف هذا الشيء بأنه موضوعي.

والموضوعي فلسفيا: هو ما تتساوى علاقته بجميع المشاهدين (الملاحظين) برغم اختلاف الزوايا التي يشاهدون منها، ومن هنا وجب أن تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائلها، بعيدة عن التأثر بأهوائه وميوله ومصالحه فتتحقق في البحـث العلمـي الموضوعيـة والنزاهة. وبالنسـبة للصحفـي يعنـي ذلـك الوصول إلى تقارير أو بيانات أو أحكام.. Statements، يمكن تحري دقتها.

ـ بدايـة عمـل كل من الصحفـي والباحث العلمي واقعة أو مشـكلة أو ظاهرة، ثم بحث عن تفسـير لهـذه الواقعة أو المشـكلة أو الظاهرة من خلال وضـع تصـور أو فـرض، ثـم جمـع المعلومـات المتعلقـة بالموضـوع، ولكـن الاختـلاف والفارق بين الصحفي والباحث العلمي هو مدى الأمانة في جمع المعلومات وتحليلها وتفسـيرها وأسـلوب جمع المـادة أو المعلومات، وهذا ما

يدفـع الباحث العلمي إلى التشـكك في نتائج أي موضوعـات صحفية تنشر في الجريـدة ـ مثلا ـ لشـكه في منهجيـة البحث وأداة جمع البيانات وأسـلوب التحليل.

ولكـن لماذا تثار الدعوة إلى اسـتعمال أدوات البحث العلمي الاجتماعي في المجال الصحفي؟

هناك اكثر من تفسير لذلك واكثر تلك التفسيرات منطقية هي:

التفسـير الأول: منافسة الوسـائل الاتصالية الأخرى الإلكترونية والمطبوعة للجريدة: فقـد أثر التليفزيون عـلى الصحافة الأمريكيـة تأثيرا كبيرا: ففي السـتينيات دمـر المجلات المصورة العامة اسـتولى على ميزانيات الإعـلان التـي كانت توجه لهـا، وفي السـبعينيات وضـع التليفزيون الجرائد في وضع سـيئ، فقد اسـتولى على بعض إعلاناتها و على جزء مـن جمهورها، وجمـد أرقام توزيعهـا عند أرقام السـتينيات، وعادت المجلات، العامة مرة أخرى ـ منافسة للجريدة ـ اكثر تخصصا وتعمقا وتحليلا وتفسيرا لموادها الصحفية، إلى جانب أن عادات الجمهور قد تغـيرت، فزادت نسـبة الناضجين والمتعلمين، فأصبـح الحل الوحيد أمـام الجريدة هـو مزيد من التعمـق في المادة الصحفيـة لمواجهة المادة المتخصصـة المتعمقـة التي تقدمها المجلات، فضلا عن منافسـة المادة الإعلاميـة المصـورة المتحركـة الحيـة السريعـة التي تقدمهـا محطات التليفزيون، من خلال إعطاء مزيد من العمق للموضوعات، والسعي لوضعهـا في إطـار عريض يعطيها معنى، لكي يحـس القارئ بالفارق بينها وبين منافسـاتها من الوسـائل الاتصالية، وعـن طريق مزيد من التفسير والاستقصاء والتحري والرجوع إلى الخلفيات والوصول إلى الأسباب والدوافع. إنه عمل أشبه ما يكون بالدراسة العلمية.

التفسير الثاني: الأخطاء والمغالطات الصحفية اليومية: حيث يقدم المحررون الصحفيون من وقت لآخر، وأحيانا يوميا، الدليل على أنهم في حاجة إلي دراسة مناهج البحث العلمي من البداية، كي لا يقعوا في تلك الأخطاء والمغالطات اليومية التي يقعون فيها تقريبا كل باسم «العلم» و«المنهج العلمي»، الذي يظنون أنهم قد استوعبوه في حين أنهم يخالفونه بشكل جذري في عديد من الأمور التي أطلق عليها أحد خبراء مناهج البحث في العلوم الاجتماعية المغالطات الصحفية وأبرزها:

١ـ التعميم من عينة غير ممثلة: ويحدث هذا عندما يعتقد المحرر الصحفي أن ما حدث في مكان ما أو أن واقعة معينة هي القاعدة، ويقوم بتعميم ما حدث على أنه يمثل كل الاتجاهات، في الوقت الذي تكون هذه العينة التي تم تعميمها تجربة ذاتية.

٢ـ إساءة استخدام كلمة « عشوائية «: فبعض الصحف تقوم بعمل استقصاءات عن ردود فعل بعض التجمعات الجماهيرية بالنسبة لخطاب أو قرار أو حدث ثم تعلن نتائج هذه الاستقصاءات مشفوعة بقولها: «أظهرت هذا عملية مسح للجمهور مبنية على عشوائية أصيلة، بينما الموضوع الصحفي المنشور هو عبارة عن مجموعة من الأقوال المقتبسة من الجمهور لا تحوي أي معلومات عن المجتمع الذي تم دراسته أو حجم العينة، والسبب هو عدم فهم بعض المحررين الصحفيين أن كلمة «عينة عشوائية» لا تعني المعنى اللفظي لها وهو العشوائية، بل لها معنى اصطلاحي «علمي» آخر، فالعينة العشوائية: هي العينة أو المجموعة المختارة من

المجتمع الأصلي التي تتيح لكل أفراد هذا المجتمع فرصة الظهور،في العينة،وهى لا تتقيد بنظام خاص أو ترتيب معين مقصود في الاختيار وبذلك تضمن لجميع المفردات فرصا متساوية.

٣ـ إجراء استقصاءات رجل الشارع Man in the Street polls. وهي نموذج نمطي يتكرر في الصحافة الأمريكية ـ منذ نهاية القرن الماضي ـ ويتم خلاله اختيار عينة على أساس غيرعلمي،بحيث تكون غير ممثلة، وتوجيه أسئلة لها حول بعض الموضوعات، ثم نشرها في شكل موضوع صحفي، لا يزود بأية معلومات كمية، ولا يذكر عدد الناس الذين قابلهم الصحفي، بل يكتفى بمجرد توصيف عام لهم مثل: «الرجال والنساء في مقاطعة...» أو «جماهير ولاية...» وأحيانا يورد حجم العينة ونسب الموافقة أو عدم الموافقة، ولكنها لا تكون ممثلة علميا.

٤ـ الوصول لاستنتاجات سببية غير صحيحة: في أحيان كثيرة خاصة في الموضوعات ذات الطابع التفسيري والاستقصائي تصل الجرائد إلى استنتاجات لأحكام وتقريرات وبيانات بدون أي سند علمي صحيح، بحيث تقرر الجريدة أن هذا الشيء يسبب حدوث ذلك الشيء، من خلال ملاحظات بعض الأشخاص، أو من خلال المقارنة بموقف سابق أو لاقتناع رئيس التحرير أو المحرر الصحفي بهذا السبب.

٥ ـ افتراض أنه بسبب أن شيئا ما يسبق حدث، فإن هذا الشيء هو سبب الحدث، ويعرف ذلك منهجيا بالمصطلح التالي..Post hoc ego prompter hoc أو «بسبب أن شيئا ما يسبق، فهو سبب

الحـدث» ويفـسر من خلالها الحـدث بالمتغير الذي سـبقه مع إغفال كل المتغيرات الأخرى.

١ .٤ الاستفـادة الصحفيـة من مناهج البحـث في العلوم الاجتماعية

هذه الاستفادة يمكن أن تكون على مستويين متوازيين:

المستوى الأول: الاستفادة من الخطوات المنهجية للبحث العلمي في التصدي لموضـوع معـين: وهـي عبـارة عن مجموعـة مـن المراحل التـي تتميز بالتسلسـل والتتابع من ناحية وبالتداخل والترابط من ناحية أخرى، وتتضمن:

١ـ الإحسـاس بالمشـكلة، من خلال الملاحظة المتعمقة والتجربة وخبرة الباحـث وكثرة الاطـلاع والتعرف على وجهات النظـر المختلفة في المشكلات والنظرة الناقدة.

٢ـ دراسة المشكلة وتحليلها وصياغتها.

٣ـ فرض الفروض أو وضع مجموعة من التساؤلات التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها.

٤ ـ تحديد نوع البحث.

٥ ـ تحديد طرق جمع البيانات وتصميمها.

٦ ـ المعالجة الإحصائية للمشـكلة أو تفسـير وعرض المشـكلة في شكل إحصائـي ريـاضي يسـهل معـه اختيـار العينـات وتفسـير نتائجهـا للوصول إلى الاستنتاج، العلمي السليم.

٧ ـ جمع البيانات وفقا للطرق التي تم تصميمها لهذه العملية.

٨ ـ المعالجة الإحصائية للبيانات التي تم جمعها.

٩ ـ استخدام النتائج المحددة التي انتهت إليها الدراسة، والتفسير المنطقي لها، لاختبار مدى صحة الفروض، أو للإجابة على التساؤلات التي طرحها البحث.

١٠ ـ التعميم، من خلال تعميم النتائج التي توصل إليها الباحث من دراسته الخاصة على المجتمع الأصلي.

١١ـ التنبؤ، ويعني استخدام الفروض والنتائج التي ثبتت صحتها للتنبؤ بأحداث معينة في مواقف جديدة أو مقبلة، بحيث يؤدي هذا التنبؤ إلى مواجهة المشكلات الجديدة قبل أن تحدث.

المستوى الثاني: الاستفادة من أهم سمات المنهج العلمي:

لا يمكن لأحد أن يخمن أو أن يفترض أو أن يدعو إلى أن يستعمل الصحفيون المنهج العلمي في جمع المادة الصحفية وتصنيفها وتحليلها ثم صياغتها، ولكن يمكن الاستفادة من بعض سمات المنهج العلمي في تحسين طرق جمع المادة، أو البيانات الصحفية، وتصنيفها وتحليلها والوصول إلى خلاصات من أهمها:

١ـ التكميم والقياس: Quantification and measurement

هناك اتفاق على أن استعمال الأسلوب الكمي الذي يعتمد على الأرقام أو التكميم أمر مهم للتفكير العلمي، وان الباحث العلمي إذا لم يستطع أن يقيس، فان معلوماته تصبح هزيلة وغير مرضية، فالأسلوب الكمي يعطي للباحث مزايا عديدة أهمها:

١ـ السماح للباحث أن يقرر بشكل اكثر تحديدا ويسمح بتمييزات صحيحة.

٢ـ إعطاء فرصة لمقارنات كثيرة.

٣ ـ تلخيص أو اختصار المادة.

٤ ـ تمكين الباحث من التعامل مع حقائق ليست قابلة للمواجهة بشكل مباشر.

٥ ـ السماح باستعمال التقنيات الإحصائية والرياضية، وعملية الاستنتاج، الإحصائي في نظام قوي للوصول إلى خلاصات تعتمد على المعلومات الكمية.

٢ ـ الثبات والصدق في القياس: Reliability & Validity

والثبات في القياس: يعني المدى الذي يظل فيه القياس صحيحا في حالة تكراره، بمعنى انه: هل إذا استعمل ملاحظان مختلفان أداة القياس نفسها، يصلان إلى النتائج نفسها. أما الصدق في القياس فيعني إلى أي مدى تقيس أداة البحث ما يفترض أنها تقيسه، ومن بين وسائل أو صيغ صحة القياس مثلا هو توافق درجات الطلاب الذين يسألون عن المادة التي قراؤها حالا مع درجات فهم القراءة.

والثبات والصدق في القياس يمكن تطبيقهما ـ ليس فقط على القياس العلمي ـ بل أيضا كمعايير لتقدير أي معلومات، ويمكن للصحفي أن يستفيد من هذه المصطلحات كملاحق للمصطلح الأكثر استعمالا وهو الدقة Accuracy .

وبالفعل يدرك الصحفيون أنفسهم أهمية الثبات، على الرغم من أنهم لا يذكرونه بالاسم ذاته، فالمفاهيم الصحفية للموضوعية objectivity

والإسـناد Attribution أو نسـبة الأخبـار أو الوقائـع إلى المصـادر، تتصـل بمفهـوم الباحث العلمي للثبـات. Reliability، فالموضوع الإخباري الذي يوصف بالموضوعية ـ الذي يمكن قبوله بواسـطة شـخصين مختلفين، يقفان مثلا على جانبين متناقضين في قضية جدلية.

وأحد المصادر الممكنة لعدم الصحة التي تكمن في الأحاديث الصحفية هو الـ Reactivity أو وعي المصدر بأنه يتم اسـتجوابه، خاصة عندما يسعى الصحفـي إلى معلومـات عن أفعال غـير أخلاقية، غير قانونيـة، أو مرفوضة اجتماعيا، هنا قد لا يصل الصحفي إلى معلومات صحيحة.

٣ ـ النظرية: Theory

النظريـة هي إطار فكري يفـسر مجموعة من الحقائق العلمية ويضعها في نسـق علمـي مترابط، ولها دور في البحوث العلميـة، وقد تكون قبلية فتعمل كموجهات أساسية للبحوث سواء عند اختيار مشكلة البحث أو عند وضع الفـروض باعتبارهـا حلولا متصورة لتلك المشـكلات، أو قد تكون النظرية نفسـها هي موضـوع البحث ومشـكلته وقد تكـون بعدية عـن طريق توفير التفسيرات المنطقية والملائمة للحقائق المتضمنة في البحوث العلمية.

وبالطبع ليس هدف المحرر الصحفي الممارس بناء نظرية علمية منظمة، مـع أن النظريـة يمكن أن تكون مفيدة للصحفي ـ مثلا ـ في توجيه خط سـير التحقيق الصحفي، والنظرية المفسرة لظاهرة ما في العلوم السـلوكية ـ مثلا ـ تسـتطيع مسـاعدة الصحفي في تقرير ما هو مهم ويسـتحق النظر في السلوك الإنساني وما ليس كذلك.

ويوصى.. John.W. Riley الصحفيين وعلماء الاجتماع أن يتفقوا بشكل متبادل على نظرية أو نظريات يمكنها اسـتثارة واسـتمالة استعماله استعمالات

أكثر إبداعا لوسائل الاتصال العامة والجماهيرية للعلوم السلوكية، ومثل هذا الجهد يحتاج ألا يكون محدودا أو شكليا فمثلا يمكن استخدام نظرية السلوك المنحرف ـ بشكل تقليدي ـ في تغطية الأحداث المتصلة بالجريمة والعلاقات العرقية والاضطرابات العقلية أو إدمان العقاقير وغيرها.

٤ـ فرض الفروض واختبارها: Hypothesis formulating and testing

والفرض هو تعميم مبدئي تظل صلاحيته موضع اختبار، أو هو أفضل حل متاح لمشكلة ما، أو أفضل تفسير لحقيقة غير معروفة، ويمكن إخضاعه للبحث العلمي، ويحتوي على علاقة بين متغيرين أو اكثر، وتلك العلاقة تصورية، ويمكن اختبارها تجريبيا وهو يفيد في:

ـ توجيه الباحث إلى الحقائق التي يجب أن يبحث عنها وتركيز جهوده.

ـ المساعدة في الكشف عن العلاقات الثابتة القائمة بين الظواهر.

والفرض العلمي في ذاته عمليه تخمين، مبنية على المعرفة العلمية والدراسة الاستطلاعية للموضوع ويتميز بالدقة والتحديد في الصياغة، في حين أن التخمين مجرد أفكار مبدئية تتولد في عقل الفرد من خلال الملاحظة العابرة.

والمحرر الصحفي عادة لا يسير وراء فرض علمي ولكنه يسير أحيانا وراء مجرد تخمين ولكن ينبغي أن يكون للصحفي بعض الفروض عما هو مهم بالنسبة لموضوع ما ؟ وما يعتبر مهما، وإلا سيكون من الصعب عليه معرفة من أين يبدأ البحث عن المعلومات، ويكون هذا الفرض، أو الفروض في شكل تصورات أو تخمينات غير مقررة Unstated assumptions، بحيث يمكن استخلاص متطلباتها وانعكاساتها الكاملة، ويمكن استعمالها للملاحظة المباشرة ولكن على الصحفي ـ كما هو على الباحث العلمي ـ أن

يتجنب اعتبار الفروض قضية علمية عليه أن يدافع عنها، وبالتالي يركز على الحقائق التي تؤيدها، ويستبعد ما يضعفها، إذ لاينبغى أن يخضع التجربة للفرض، وانما ينبغي أن يخضع الفرض نفسه للتجربة.

٥ ـ الاستنتاج السببي: Causal Inference

وهو يختلف عن الاستنتاج السببي لمعنى أحداث كل يوم، والاستنتاج السببي لمعنى أحداث كل يوم Cause in the everyday sense هو الذي يتضمن واقعة تحوي بوجه خاص تشكيلا وتوجيها واضحا لحركة الأشياء وسيرها بواسطة كائنات أو أشياء أخرى مثل: فشل البنك بسبب شائعات لا أساس لها من الصحة عن حقيقة عملائه، تقييد الجليد لحركة مواصلات المدينة.

وأيضا عن الاستنتاج بالمعنى التاريخي، وكلاهما يشير إلى السبب في حادث خاص، أحداث محددة الوقت والمكان.

ولكن الاستنتاج السببي علميا، أو التقارير السببية في العلم تأخذ شكل تقارير عامة بدلا من تقارير عن حدث معين محدد في الوقت والمكان، مثال لذلك: «الإحباط يولد العدوانية» و«الحاجات والقيم تؤثر على عملية الإدراك» فهي لا تشير إلى حدث يقع في مجال زماني أو مكاني محدد، بل تتخطى المكان والزمان.

ويلاحظ أن المحرر الصحفي مغرم عادة باستعمال كلمة «سبب»، خاصة في الموضوعات الخاصة بالرأي والاستقصاء والتفسير ولكنه يستعملها بمفهوم (سبب كل يوم) و(السبب التاريخي) أما التفسير السببي الذي يقوم على الاستنتاج السببي، فيتطلب أن يسأل الصحفي نفسه كيف يستطيع الحصول على هذه الأنماط الثلاثة السابقة من الدليل، وأفضل أسلوب علمي

لاختبـار السـببية هـو التجربـة المتحكـم فيهـا...Controlled Experiment بسبب أنها تجمع فورا برهانا من كل الأنماط الثلاثة.

١ .٥ صحافة التحديد: Precision Journalism

تجسـد التطبيـق العلمـي لهـذا التيـار الصحفـي الجديـد الـذي يدعـو لاسـتخدام مناهج البحث العلمي الاجتماعـي وأدواته في العمل الصحفي، في مدرسة صحفية بدأت في أواسط الستينيات وإنتعشت في السبعينيات هي « صحافة التحديد، دعا إليها ووضع أسسها النظرية وقدم تطبيقات مهمة لها في الجرائـد الأمريكيـة المحرر الصحفي Philip Meyer، الذي عمل أسـتاذا للصحافة بجامعة نورث كارولينا، بدأ حياته كصحفي تقليدي، وكانت نقطة التحـول في حياته الصحفية حصوله على منحة زمالة في جامعة هارفارد عام ١٩٦٧م، عاد بعدها ليعمل في Knight كمراسل ومحرر قومي، وبدأ أيضا في تأليـف كتابه «صحافة التحديـد: مدخل صحف المحرر الصحفي إلى مناهج العلـم الاجتماعي» الذي نـشر عام ١٩٧٣م، (وصدرت منـه طبعة ثانية عام ١٩٨٢م) وأصبـح فيما بعد إنجيل هذه المدرسـة الصحفية، وتضمن الكتاب النقـاط التالية: الحاجـة إلى أدوات جديدة، التعود الضروري على اسـتخدام الأوقات، التصورات (النماذج) واختبار الفرض، الإحصاءات، الحاسبات الإلكترونية، الدراسات المسحية، الاستقصاءات الجماهيرية، الاستقصاءات السياسـية، اسـتقصاءك الخـاص، كيـف تحلـل وتعـرض معلومات مسـح، التجارب الميدانية، السجلات العامة، الوصول إلى الحالات، والكتاب مزود بمزيـد من التوصيات في هـذا المجال وتفاصيل عن خطـوات عملية معالجة البيانات بواسطة الحاسبة الإلكترونية.

وتقـوم هـذه المدرسـة الصحفية ـ مدرسـة صحافة التحديد ـ كما سـبق الإشارة على جانبين مهمين:

الأول: الاسـتعانة بخلاصـات وأدوات العلوم الاجتماعيـة ـ خاصة العلوم السـلوكية في تخطيـط التحـرك الصحفـي، وفي جمـع المـادة الصحفية وتصنيفها وتحليلها والوصول إلي خلا صات منها.

الثـاني: اسـتخدام الحاسـبات الإلكترونية ـ لكثـرة البيانات التـي يتم جمعها وصعوبة فرزها وتصنيفها يدويا ـ في عملية تحليل معلومات وبيانات الموضوعات الصحفية واستخراج العلاقات بينها.

وتضمنت هذه المدرسـة الصحفية اسـتخدام بعض التقنيات الأساسية للبحـث العلمي الاجتماعي التي يمكن تصنيفها في أربعة مجالات أو مداخل رئيسية:

المدخل الأول: الملاحظة بالمشاركة: Participant Observation

فعندما أرادت جريدة.. The Miami Herald أن تفحص وتتحرى عن ظروف وأوضاع مصحة الأمراض النفسية بولاية فلوريدا، قام محرر الشؤون الطبية بالتنكر والحصول على وظيفة عامل في المستشفى، وعمل لمدة أسبوعين ٨ ساعات يوميا بدون أن يعرف أحد حقيقته كصحفي، شارك خلالها في حياة الناس الذين يلاحظهم من مرضى وعاملين وقد التحق بدون تدريب، وكان أجره قليلا، والعمل فوق طاقته وكان يهان من رؤسـائه، ويسـتغل، وجاءت هـذه الخبرات المباشرة، مع قراءاته الخلفية ومحادثاته مسـاعدة له في جمع مادة موضـوع صحفي جيد، قد يكون من غير المحتمـل الحصول عليها بالاعتماد على التغطية التقليدية وحدها.

لقد استعمل محرر الشؤون الطبية هنا تقنية الملاحظة بالمشاركة، وهى تقنية يتنكر المحررون فيها للحصول على معلومات وبيانات من الصعب الحصول عليها بشكل طبيعي، وتتدرج موضوعاتها من التدريس في المدارس، إلى جمع الخضروات، إلى ممارسة مهن معينة، ويستخدم علماء الاجتماع وعلماء النفس في بحوثهم أيضا هذه التقنية.

وتقنية الملاحظة بالمشاركة تساعد بشكل عام في رسم صورة دقيقة للمجال الذي يقوم الشخص بملاحظته، من منظور مختلف يقل فيه الاعتماد على المصادر الرسمية ويشارك فيه المحرر، وهنا توجد مزيتان تستحقان الإبراز:

الأولى: أن الملاحظ بالمشاركة ينظر إلى البنى الإنسانية، والتداخلات العديدة للظاهرة التي يراقبها، مراقبا فاحصا ديناميكات الصراع الداخلي والتغيير والاستقرار وهكذا يرى مؤسسات وعلاقات وجماعات وأفراداً أثناء العمل.

الثانية : أن الملاحظ بالمشاركة يستطيع اكتشاف السلوك الطبيعي، الذي قد لا يعطي الحديث العادي الإجابة عنه، لان المستجيبين ليسوا دائما على وعي بسلوكهم الخاص أو أفكارهم، وقد لا يريدون مناقشة نقطة ما، أو يكونون غير قادرين على وضع أفكارهم في كلمات، والملاحظة بالمشاركة تساعد في التغلب على هذه العقبات خاصة أن غرض الملاحظ لا يكون معلنا.

ولكن هناك بعض العيوب لهذه التقنية ظهرت من خلال تجربتها أهمها:

١ ـ إن مجرد وجود الملاحظ بالمشاركة يشكل عنصرا جديدا في الموقف، وهو لا يستطيع أن يكون متأكدا من أنه يؤثر أو لا يؤثر، ولكن الشيء

المؤكد أنها عملية تؤثر بحد أدنى على السلوك الفعلي للملاحظين.

٢ ـ أن الملاحظ ـ بشكل عام ـ غير قادر على أن يشهد بنفسه كل جوانب حركة أو تفاعل الجماعة، فهو بالضرورة يختار ما يشاهده وينتقيه، وموقع الملاحظ من الجماعة هو الذي يحدد ما يراه فقط، وهو يرى السلوك والحركة ويسمع الحوار ويلاحظ الممارسة، ولكنه لا يعرف التاريخ الاجتماعي للجماعة ولا دوافعها أو نواياها أو تصوراتها الذهنية.

٣ ـ إن الملاحظ بالمشاركة لا يستطيع أن يفهم بشكل كلي هؤلاء الأفراد الذين يتم ملاحظتهم.

٤ ـ إن الملاحظات يتم إخمادها من خلال عمليات التشويه الثنائية في التعرض الانتقائي والاسترجاع.

ويثير استعمال الصحفي لتقنية الملاحظة بالمشاركة في العمل الصحفي ثلاث قضايا أو مشاكل مهمة:

المشكلة الأولى: اختراق الخصوصية

فالمحرر الصحفي الذي لا يعرف نفسه كمحرر، هو في الحقيقة يتجسس على الناس الذين ليسوا على دراية بأنهم مراقبون، وهذا أمر قابل للمناقشة أخلاقيا، والبديل أن يقدم المحرر نفسه، وهنا تفقد هذه التقنية مزاياها ـ خاصة في مجتمع قد يعم فيه الفساد والاستهتار بالقيم ـ وتزداد حساسية هذه المشكلة مع زيادة حساسية الموضوعات الملاحظة وخطورتها، وردود الفعل البعيدة التي قد تنجم عنها.

المشكلة الثانية: الانغماس

فعلى المحرر الصحفي الذي يستعين بالملاحظة بالمشاركة ـ أن يلاحظ أو يأخذ في اعتباره ألا يصبح منغمسا بدرجة كبيرة تجعله يغير مجرى الأحداث التي يلاحظها، وألا يفترض أن الذين يلاحظهم يشعرون بنفس ما يشعر به، فالرؤية من الداخل تختلف عن الرؤية من الخارج.

المشكلة الثالثة: التعميم

يحذر العلماء من خطر التعميم على أساس ملاحظة محددة، ولكن المحرر الصحفي قد لا يعرف أو قد ينسى في بعض الأوقات ويعمم من خلال ما لاحظه بالمشاركة ـ في مكان على كل الأماكن المشابهة له.

خلاصة القول ان الملاحظة بالمشاركة هي تقنية بحثية وصحفية جيدة، لكنها محدودة وتؤدي دورها بشكل جيد كمعاون للتقنيات المعيارية للمحرر الصحفي كالحديث الصحفي وفحص الوثائق بشكل منظم.

المدخل الثاني: التجربة الميدانية: Field Experiment

عندما أرادت وكالة الأسوشيتدبرس أن تتحرى عن كفاءة أداء الخدمة البريدية قامت مكاتبها المختلفة عبر الولايات المتحدة بإرسال خطابات بعضها إلى بعض عبر كل وسائل إرسال البريد، وكل درجاتها، ولاحظوا الفروق في توقيتات وصول هذه الخطابات.

وما قامت به مكاتب الوكالة يقوم به الباحث العلمي، وتسمى هذه التقنية «التجربة الميدانية» وهو نفس ما قامت به محررة Charlotte observer عندما أرادت فحص أمانة المحلات التي تقوم بإصلاح السيارات، فقامت بأخذ عربة في حالة جيدة إلى محال عديدة، وغطت ما يقوله كل منها، وعيوب

السيارة من وجهة نظرهم، وقيمة الإصلاح وتم الوصول إلى خلاصات حول أمانة هؤلاء القائمين على تلك المحلات.

جوانب التجربة الميدانية

الجانب الأول: التصميم التجريبي: Experimental Design

فأساس التجربة الميدانية هو تشكيل أو توجيه متغير مستقل وملاحظة تأثيره على متغير تابع، وبعيدا عن تعقيدات التصميمات التجريبية هناك نمطان من التجارب تفيدان المحرر الصحفي في عمله:

النمط الأول يبدو فيه المتغير المستقل في حالة واحدة فقط، ويهدف إلى عرض أن ظاهرة ما ذات أهمية حدثت أو لم تحدث، أما النمط الثاني فيبدو فيه المتغير المستقل في حالتين أو أكثر مختلفتين لكي نرى ما إذا كان التغير في الظروف ينتج تغيرا مصاحبا في التأثير.

الجانب الثاني: صياغة الفرض أو الفروض:Formulating Hypothesis:

توجه الفروض صاحب التجربة، وتجبره على أن يكون دقيقا جدا بصدد العلاقة بين المتغيرات التي يدرسها، والعامل الذي قد يكون سبب المتغير المستقل، وكيف يمكن تشكيله، والعامل الذي يعتقد أنه قد يتأثر بواسطة المتغير التابع، وكيف يمكن قياسه ؟.

وصياغة الفرض أو الفروض تتطلب تعريف المتغير المستقل بشكل دقيق، وينبغي أيضا تحديد المتغير التابع بشكل واضح، وأن يوضح بشكل جيد كيف سيتم ملاحظة المتغير التابع والتعرف عليه، وقياسه.

الجانب الثالث: التحكم في التجربة

مـن خلال تثبيت كل المتغـيرات في الطرفين اللذين يتـم مقارنتهما، عدا المتغير الذي يتم تشكيله أو توجيهه وهو المتغير المستقل.

الجانب الرابع: العشوائية: Randomization

وتخدم وظيفتين مهمتين في التصميم التجريبي:

١ ـ أن القائمين بالاستقصاء (التجربة) إذا أرادوا التعميم على المجتمع على أساس تجربتهم، يحتاجون لاختيار المبحوثين بشكل عشوائي.

٢ـ تكوين مجموعتين مختلفتين ومتعادلتين في الوقت نفسه.

الجانب الخامس: الإحصاءات: Statistics

بعـض التجـارب الميدانية الصحفيـة لا تتطلب تحليـلا إحصائيا، ولكن هنـاك تجارب عديدة بسـيطة يجريها الصحفيون، ويمكـن أن تعالج إحصائيا باستخدام واحد أو اكثر من الاختبارات الإحصائية.

الجانب السادس: الأخلاقيات:Ethics

تثـير التجارب الميدانيـة قضايا أخلاقية بسـبب أن معظمها يجرى بدون وعـي الأشـخاص بـأن تجربة ما تحـدث، في حـين أن أحد الأسـباب الأولية لإجـراء تجـارب ميدانيـة في الحقيقة، هو ملاحظـة ردود أفعال الأشـخاص بدون أن يعوا ذلك.

والباحث العلمي، أو المحرر الصحفي، الذي يجري تجربة ميدانية يحتاج إلي أن يـزن بعنايـة ما إذا كانـت تتضمن فقدانا فعليا لكرامـة، أو تنطوي على أضرار سيكولوجية أو فسيولوجية للأفراد المتعرضين للتجربة.

والمعيـار المفيـد لهـذا الجانب الأخلاقي هـو تقدير ما إذا كانـت التجربة الميدانية سوف تجعل شخصا ما يؤدي شيئا لم يكن يقوم بتأديته بشكل عادي، فالتجـارب الميدانية تختلف عن التجارب المعملية، في أن الأشـخاص ـ هنا ـ ليسـوا على علم بمشـاركتهم في التجربة، لهذا يعنى علماء السـلوكيات بوجه خـاص بالتأكـد من أن الأشـخاص لا يتـم الإضرار بهم في تجـارب ميدانية، والصحفي المخطط لتجربة ميدانية ينبغي أيضا أن يعنى بذلك.

وتقنيـة التجربـة الميدانيـة المتحكم فيهـا، تقنيـة مهمة ومفيـدة للمحرر الصحفي لعدة أسباب:

أولا: أنهـا التقنيـة الأقـدر عـلى عرض علاقـات السـبب والتأثـير، والمحرر الصحفـي هو شـخص مـا مـن مهماتـه الأساسـية معرفة الأسـباب والتأثير، كما أن التحليل السـببي هو أيضا أسـاس للتغطية التفسيرية Investigative Reporting، وهى تقنية قوية لعرض السببية.

ثانيا: أنها تسـمح للمحرر الصحفي ـ من خلال التجربة ـ بملاحظة سـلوك شخص ما بدلا من الاعتماد على تعبير الشخص اللفظي عما قد يكون سـلوكه، ممـا يجعل من الممكـن التغلب على العيب الـذي يترتب على اسـتخدام الحديث الصحفي وهو التقنية التقليدية للمحرر الصحفي والمتمثـل في اقتصـاره عـلى تقريـر لفظـي يقـدم القليل عن السـلوك الحقيقي للشخص.

ولكن التجربة تتغلب على ذلك بوضع الشـخص في موقف، وملاحظة سـلوكه الحقيقي، بدلا من توجيه الأسـئلة إليه عما يفعل في مثل هذا الموقف، وقد يكون هذا مهما بشـكل خاص عندما يقوم شـخص ما بتقصي سلوكيات غير أخلاقية، غير قانونية، أو مرفوضة، ولا يقرها المجتمع، فقليل من الناس

قـد يعترفون ـ عند سـؤالهم ـ بارتكابهم أفعالاً معينـة، وللتجربة مزية أخرى تتمثل في أن الناس ليسـوا قادرين دائما على التنبؤ بسـلوكهم عند سؤالهم عن ذلك.

ثالثـا: أنها تسـمح للمحرر الصحفي مـن خلال التجربـة بملاحظة أحداث وسـلوكيات مـا كانـت تحدث أو قد تحدث بشـكل نـادر، بدون هذه التجربة.

المدخل الثالث: تيار الدراسـة المنظمـة للوثائق: Systematic study of records

حين أراد كل من James Steele و Donald Barlette المحررين بجريدة Philadelphia Inquirer عـام ١٩٧٢م، اكتشـاف كيفية سـير نظام المحاكم، وهل يتسـاوى البيض والزنوج في الأحكام نفسـها، إذا تسـاوت جرائمهم، كان أمامهما الشـكل التقليدي، وهو سـؤال القضاة والمهتمين وفحص بعض السجلات. ولكن المحررين سلكا طريقا آخر مستفيدين من المنهج العلمي، فقد انطلقا لمدة أربعة شهور في البحث في سجلات مدينة فيلادلفيا فاحصين آلاف الوثائـق التي تتضمن المجالات المختلفة لاختيار العينة، وقررا التركيز عـلى جرائـم القتل والاغتصاب والاعتـداء في فيلادلفيا خلال عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م، وشـملت العينـة ١٣٧٤ حالـة (قضية) وصمم المحرران اسـتمارة لتوثيـق المعلومـات، ووفقا لفئات محددة تم تصنيف المـادة، وتفريغها في هذه الاسـتمارة، وتغذية الحاسـبة الإلكترونية بكل هذه الاسـتمارات، إذ خصص لكل حالة بطاقة زود بها الحاسـب الإلكتروني، وقد تكلف تشـغيل الحاسب ٧٠ دولارا في الساعة، وأمكن عن طريق ذلك الحصول على جداول متداخلة البيانـات Cross tabulating، في حـين أن عملية الحصول على هذه البيانات

كانت ستستغرق شهورا ـ وربما سنوات من عمل المحررين للتوصل إليها بطرق أخرى، وفي النهاية حصل المحرران على ٤٠٠ ورقة تمثل نتائج تحليلات الحاسب الإلكتروني للأحاديث التي تم إجراؤها مع المهتمين والضحايا والقضاة والمحامين.

وظهرت نتائج هذا الجهد في موضوع نشر على حلقات لمدة ٨ أيام في فبراير عام ١٩٧٣م، بعنوان «الجريمة والعدل»، وكشف هذا الموضوع ـ من بين ما كشف ـ أن الأحكام في حالة الجرائم التي تقع في المؤسسات التجارية تكون أقسى منها في حالات الجرائم التي تقع في أماكن أخرى، وأن حالات براءة المدعى عليهم من الزنوج كانت اكثر حين كان القضاة من الزنوج، وأن المتهمين من الزنوج يحكم عليهم بأحكام أقسى من البيض الذين يرتكبون جرائم مشابهة، وأن الأحكام تكون أشد قسوة في حالة المتهمين الزنوج والضحايا البيض، عنها في القضايا التي ينتمي فيها المتهم والضحية للجنس نفسه.

وقد استخدم هذه التقنية منذ مدة طويلة علماء السياسة، المؤرخون، وباحثون آخرون في ميادين علم الاجتماع، أما استخدام الصحفيين لها فمازال محدودا وان كان ينمو باطراد.

وتسمح هذه التقنية للمحررين والقراء بالوصول إلى خلا صات مبنية على قاعدة صلبة من المعلومات، لا على مزيج من الحديث أو الملاحظة داخل حجرة المحاكمة مثلا لأنها تعتمد على المصادر الأصلية وتستخدم المنهج الكمي مستعينة بالحاسبات الإلكترونية ولكن يعيبها أنها تحتاج إلى وقت وتمويل كاف، وينبغي أن يقنع رؤساء التحرير والناشرون بأن العائد منها سوف يكون مساويا للوقت والجهد والمال قبل الموافقة على إجرائها.

وأداة الدراسة المنظمة للوثائق هي تحليل المضمون Content analysis وتتعدد تعريفات تحليل المضمون، واشهرها تعريف Bernard Berlson «أن تحليل المضمون هو أسلوب للبحث يهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمحتوى الظاهر لعملية الاتصال «ويقترب منه تعريف Kerlinger «أن تحليل المضمون هو منهج أو أسلوب لدراسة وتحليل الاتصال في شكل موضوعي وكمي بغرض قياس المتغيرات»، بينما يعرفه كل من Walizer و Wiennr بأنه «أي إجراء منظم يتم اتباعه لفحص المحتوى المسجل للمعلومات»، ومن التعريفات الحديثة لتحليل المضمون والأكثر ملاءمة لوظيفته هنا ـ وهى الدراسة المنظمة للوثائق ـ تعريف.. Ole Holsti لتحليل المضمون بأنه تقنية بحث للوصول إلى استنتاجات من خلال التعرف الموضوعي المنظم على السمات المحددة للرسائل».

وتؤكد التعريفات المتعددة لتحليل المضمون على ثلاثة متطلبات أساسية ينبغي توافرها لنجاحه وهى: مطلب الملاحظة المنظمة، مطلب الملاحظة الموضوعية مطلب الاستنتاجات.

المدخل الرابع: استقصاءات الرأي العام: Public Opinion Polls

عندما أرادت جريدة.. Louisville Courier Journal أن تكشف الاتجاهات والمشاعر الفعلية للمواطنين نحو تقسيم المناجم في المناطق المخطط لتقسيمها فعليا، حاولت سؤالهم ولكنها لم تقم بسؤالهم كلهم بالطبع، لان هذا سيكون شيئاً غير عملي، بل أخذت عينه من ٦٠٠ شخص تم اختيارهم بشكل عشوائي كعينة ممثلة للسكان الراشدين في ١٠ مناطق منتجة للفحم، وتم توجيه الأسئلة إليهم عن طريق مؤسسة استقصاءات Polling Firm وتم جدولة النتائج وتحليلها ونشرها

وتقوم الجرائد والمجلات وشبكات الإذاعة ومؤسسات الاستقصاء المستقلة بقياس الرأي العام بصدد أي قضية أو موضوع معين، بدءا من تفضيلات أنواع معينة من الأطعمة على مائدة الإفطار، إلى مرشحي الرئاسة المفضلين.

وقد تجري الجريدة الأمريكية هذه الاستطلاعات عن طريق قسم خاص بها، أو تعهد بها إلى مؤسسة متخصصة في هذا العمل، أو تكتفي بنشر تقرير عن نتائج استقصاءات قامت بها مؤسسات أخرى.

واستقصاءات الرأي العام بمفهومها البدائي تستعمل بشكل متسع منذ منتصف القرن الماضي، فيما عرف بحديث رجل الشارع man in the street interview وهو تقليد صحفي عتيق استعمل ومازال يستعمل عندما تنفجر قصة صحفية مهمة، فيتم توجيه أسئلة لعدد من الناس مثل سؤال بعض المارة عن مشاعرهم بصدد اغتيال أحد القادة السياسيين، أو المرشحين المفضلين لهم في الانتخابات القادمة، أو أي موضوع آخر يرد على ذهن المحرر أو رئيس التحرير.

الخطوات الأساسية لتقنية استقصاء أو مسح Survey الرأي العام:

الخطوة الأولى: تحديد أهداف الدراسة في شكل أسئلة أو فروض.

الخطوة الثانية: تحديد مجتمع البحث أو الأشخاص أو المستجوبين أو الذين يراد استقصاء رأيهم، وعادة ما يكون بأسلوب العينة وليس بأسلوب الحصر الشامل.

الخطوة الثالثة: تحديد عينة البحث من المجتمع الأصلي.

الخطوة الرابعة: تحديد أسلوب جمع المعلومات، وهي ثلاثة أساليب أساسية:

١ ـ المباشر (المواجهي). Face to face

٢ ـ عن طريق التليفون. Telephone

٣ ـ عن طريق البريد Mail

٤ ـ عن طريق النشر في الصحف

٥ ـ عن طريق النشر على شبكة الانترنيت

الخطوة الخامسة: إعداد الأسئلة المحورية أو المركزية Focal questions والأسئلة التابعة لها، التي تكشف عن إجابات لأسئلة الاستقصاء، أو تسعى لإثبات أو نفي فروضه.

الخطوة السادسة: إعداد صحيفة أو استمارة الاستقصاء وتطويرها ومراجعتها في شكلها النهائي وترتيب الأسئلة، والتعليمات، ومراجعة أسلوب الصياغة وطول الأسئلة.

الخطوة السابعة: الاختبار القبلي للاستمارة Protesting، وتعديلها إن لزم الأمر.

الخطوة الثامنة: اختيار القائمين بعملية الاستقصاء (المستجوبين أو الباحثين)، وتدريبهم وإعطائهم التوجيهات اللازمة بصدد الاستقصاء.

الخطوة التاسعة: جمع البيانات من خلال الميدان والمراجعة الميدانية لها.

الخطوة العاشرة: مراجعة الاستمارات (صحف الاستبيان) مكتبيا.

الخطوة الحادية عشرة: تفريغ البيانات في جداول هيكلية، وحساب تكراراتها يدويا، أو بالاستعانة بالحاسبات الإلكترونية.

الخطوة الثانية عشرة: تحليل البيانات وتفسيرها وعرضها في جداول أو دوائر أو أي رسوم توضيحية أخرى، والبحث عن نتائج ومؤشرات، ثم كتابة تقرير متضمنا خلاصات نهائية. عن الاستقصاء

تغطية استقصاءات الرأي العام

أيا كانت الجهة التي قامت بعملية استقصاء الرأي العام، فهناك قواعد لتغطية أو كتابة تقرير إخباري أو أي موضوع صحفي عنه، أهمها أن يجيب المحرر الصحفي في تغطيته للاستقصاء على هذه الأسئلة، التي يرى الباحث الاتصالي الأمريكي ليوبوجارت أنها كافية لتغطية كافة جوانبه هي:

١ ـ من قام بتمويل الاستقصاء ؟

٢ـ من هم الذين تم توجيه الأسئلة إليهم، أو ما هو مجتمع البحث وعينته ؟

٣ ـ كيف تم اختيار المستجيبين، أو كيف تم تصميم العينة ؟

٤ ـ ما مدى دقة الإجابات، وما هو الحجم المقدر لخطأ المعاينة ؟

٥ ـ ما عدد الأشخاص الذين تم توجيه الأسئلة اليهم ومن قام بعملية توجيه الأسئلة الى الأشخاص ؟

٦ ـ كيف تم إجراء الاستقصاء ؟ أو ما هو أسلوب جمع المعلومات ؟

٧ ـ متى تم إجراء الاستقصاء ؟

٨ ـ ما هي الأسئلة الفعلية التي تم توجيهها ؟

٩ ـ كيف تم تفريغ صحف الاستقصاء وتحليل بياناتها ؟

١ . ٦ تيار الصحافة الجديدة New Journalism

تيار صحفي جديد، تضمن منهجا جديدا في التفكير وأسلوبا مختلفا في التعبير، وتعديلا في أنماط الاتصال الصحفي التقليدية)، وأبرز ما اتسم به هذا التيار الصحفي الجديد من حيث الشكل والمضمون:

١ـ أنه يختلف عن معظم الممارسات التقليدية لوسائل الاتصال، حيث أتى كرد فعل لحاجات الجمهور الجديدة لأشكال صحفية مستحدثة في مواجهة الأشكال الاتصالية الجديدة خاصة ما أفرزته وسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة، وكرفض للافكار التي تعتنقها الجرائد التقليدية عن الأخبار المتوازنة والموضوعية والاستخدام التقليدي لمصادر الأخبار.

٢ـ أنه امتداد لصحافة التنقيب عن الفساد في القرن العشرين والقرن التاسع عشر وصحافة المنشورات السياسية في القرن الثامن عشر، وصحافة الخبر المتحيز في القرن السابع عشر، ويسمح هذا التيار للمحرر ويشجعه على استخدام مدخل أكثر ابداعا في تغطيته ويمكنه من اللجوء الى الأسلوب السردي الروائي، ويعطي له وظيفة الملاحظ المنغمس في الحدث.

٣ ـ أنه يقوم على فكرة ماكلوهان Mcluhan التي تقول إن الشكل يسبق المحتوى، وان الوسيلة هي الرسالة، ومشاركة هذا التيار والاضافة الحقيقية لهذا التيار تكمن في الاسلوب، فهو يستغل المضمون الصحفي وينشره في أسلوب روائي، ويجمع بين الحقيقة الموضوعية للصحافة والحقيقة الذاتية للصحفي أو الكاتب، أو هو رواية تعتمد

علـى أسـلوب التقرير، وتسـعى الى حقيقـة أضخم مـن خلال جمع الحقائـق والأقوال المقتبسـة وعرضها بشـكل انطباعي، وكما وصفه البعض «بأنه شكل جديد من اللا قصة يستعمل أساليب القصة».

٤ ـ أنـه نـوع مـن التغطيـة الصحفية الاخباريـة التي تعـرض الأحداث بشـكل يجلب معـه جوانب انطباعيـة تعبيرية انطباعيـة مثل صورة، صوت، مشاعر الحدث، خلفيات الحقائق، ويربطها مقارنة بحقائق أخـرى من التاريخ والمجتمع والأدب في أسـلوب فني يعطي عمقا وبعدا أكبر للحقائق.

٥ ـ أنه لا يستنكر التحيز الواضح، ووضع الرأي في الأعمدة الأخبارية.

وجاء ظهور الحاسبات الإلكترونيه والنشر المكتبى والطباعة الأوفست المتطورة واستخدامهابشكل واسع ليكون مؤثرا مهما على الصحافة الجديدة، فقد أصبح ممكنا وبسـعر رخيص انتاج جريدة، بدون، حاجة الى اسـتثمارات ضخمـة في معـدات جمع الحـروف وطابعاتها، واسـتطاع الطابـع الفرد انتاج عـشرات من الجرائد الصغـيرة، وأمكن للجريدة البديلـة أو السرية أن تطبع بسرعة وبتكاليف محدودة، كما سـمح استعمال طابعات الأوفست باستخدام خطـوط اليد والرسـوم اليدوية الآخرى الى جانب المتـن بدون نفقات اعداد كليشـيهات باهظـة، ممـا أتـاح للفنانـين أصحـاب مذهـب السـايكوديلك Psychodelic الاندماج مع الصحفيين الجدد.

ويضم هذا التيار اربعة اتجاهات أو مدارس صحفية رئيسية:

١ ـ اتجاه اللارواية الجديدة New Nonfiction

وسـميت بالريبورتاج أو الصحافة الموازيـة Parajournalism وظهرت عـلى صفحـات الصحف (جرائد ومجـلات)، من خلال الاعمـدة الصحفية ومقـالات المعالم وبعـض الكتب، وعالـج محتواها قضايا اجتماعية ومشـاعر شخصية وأحداثاً جماهيرية

٢ ـ اتجاه الصحافة البديلة Alternative Journalism

وتسـمى أيضـا بصحافـة التنقيـب عـن الفسـاد الحديثـة، أو التغطيـة الاسـتقصائية ويركز محتواها على التحقيقات الصحفية التي تكشف الأعمال الفاسدة في منظمات الحكومة وتهاجم صحافة المؤسسات.

٣ ـ الصحافة المدافعة او المتحيزة Advocacy Journalism

وترفـض مبـدأ الموضوعيـة التقليديـة، وتركـز عـلى قضايـا الجماهـير والسياسـات واسـاليب التغير الاجتماعـى، ويتم ممارسـتها من خلال بعض الأعمدة الصحفية وموضوعات المعالم في الجرائد والمجلات.

٤ ـ اتجاه الصحافة السرية Underground Journalism

وتعالـج قضاياهـا من رؤيـة متطرفة عنيفـة، رافضة مختلفـة، معبرة عن ثقافات مضادة لثقافات المجتمع التقليدية، وعادة ما تتركز في بعض الصحف غير الجماهيرية أو قليلة التوزيع في المناطق الحضرية وفي الجامعات، والمدارس العليا (الثانوية)، القواعد العسكرية، وقد قل انتشار هذا التيار مع تغير دوافع ظهوره وبواعثه، فقد شـهدت السـبعينيات مناخا سياسيا واقتصاديا وفكريا وثقافيـا وعلميا مختلفا أفـرز صحافة مختلفة ولكن بقيت بعض آثار لهذا التيار الصحفي المتميز.

١ . ٧ نماذج لتحقيقات صحفية

١ .٧ .١ تحقيق صحفي يكشـف عن تنامي ظاهرة المخدرات باليمن

الخميس ١٩ فبراير-شـباط ٢٠٠٩م، السـاعة السادسـة مسـاء ، مأرب برس - صنعاء



كشـف تحقيق صحفي عن تصاعد خطير لظاهـرة المخدرات في اليمن، «التي ما زالت منطقة عبور وليسـت منطقة اسـتهلاك» بحسـب المسـؤولين الرسميين.

وأشـار إلى أن أجهـزة الأمـن ضبطت مـا يقارب مـن ١٤ مليون قرص مخدر خلال السـنوات الأربع الأخيرة كانت معـدة لتوزيعها في دول الجوار، في حين لم تضبط سوى ما يقارب ٥٠٠ كيلو جرام معدة للاستهلاك المحلي.

وكشف التحقيق عن تزايد حالات الادمان على علاجات تصنف تحت ما يعرف« المؤثرات العقلية» وسط اليمنيين رغم أن القانون لم يفرق بينها وبين المخدرات.

ونقل عن رئيس النيابة الجزائية المتخصصة القاضي سعيد العاقل تأكيده أن المخدرات في اليمن أصبحت «ظاهرة وما يتم ضبطه اقل من حجم المشكلة».

التحقيق الذي نفذته إدارة التحقيقات الصحفية في وكالة الأنباء اليمنية (سبأ) تضمن احصائيات وأرقاماً، وصفها بـ«المخيفة»، واعتبرها القاضي العاقل أنها تمثل «حرباً شاملة على اليمن».

وبحسب إحصائيات الإدارة العامة لمكافحة المخدرات ففي عام ٢٠٠٤م كانت عدد القضايا المضبوطة التي تتعلق بالمخدرات ٤٢ قضية وقفزت في عام ٢٠٠٨م، إلى ١١٣ قضية، أما عدد المتهمين فكان في ٢٠٠٤م ٧٥ متهما بينهم ٣ من جنسيات أخرى، وقفز في العام ٢٠٠٨م، إلى ٢٥٢ متهما بينهم ٧٢ من جنسيات أخرى.. ما يعني أن القضايا المتعلقة بالمخدرات وعدد المرتبطين بها ارتفعت خلال الأربعة الأعوام الأخيرة بنسبة تصل إلى ٣٠٪.

فقد ضبطت أجهزة الأمن اليمنية في العام ٢٠٠٨م، وحده ١٣ مليون ونصف من المخدرات وما يقارب مليون حبة مخدر بين عامي ٢٠٠٦م، و٢٠٠٧م، وبالنسبة للحشيش المخدر تقول الاحصائيات إنه في عام ٢٠٠٦م، بلغت الكمية المضبوط ٦ أطنان، وشهد عام ٢٠٠٤م، إتلاف ١٥٠٠ غرسة حشيش.. في حين كانت الكمية المضبوطة من الحشيش المخدر في عام٢٠٠٨م،

مـا يقارب ٢٧ طنا، وضبط ٣ غرسـات فقط.. وهـذا يثبت ارتفاعا في كميات المخدرات من الحبوب والحشيش المستورد ـ حسب التحقيق.

وأكـد مدير عام مكافحـة المخـدرات العميـد خالد الـرضي أن معظم الكميات التي ضبطت «كانت متجهة إلى دول الجوار وأن اليمن منطقة عبور فقط حاليا».

من جهتـه حذر العقيد مطهر علي ناجي مدير السـجن المركزي بصنعاء من خطورة سجناء المخدرات «بالذات الأجانب».

وقـال رئيـس مصلحـة السـجون اليمنيـة العميـد علي ناصر لخشـع إن التعامل مع سجناء المخدرات يحتاج إلى كادر مدرب ومؤهل.

وتشـير إحصائيات الادارة العامة للسجون أن الموقوفين حاليا على ذمة حيازة أو اسـتخدام المخدرات أو الحشيش يصل عددهم إلى ٣٥٠ شخصا.. منهـم ٣٠٥ سـجناء في تهمة حيازة مخدرات وحشـيش بينهـم ١٠٠ أجنبي، وهناك ٤١ سجينا منهم ٣ أجانب لتعاطيهم مخدرات أو حشيشاً.

ويأتي السـجن المركـزي بصنعاء في مقدمة السـجون المسـتضيفة لهؤلاء النـوع من المسـاجين حيث يصل عددهم إلى ١٤٠ سـجيناً بينهـم ٦١ تاجرا يمنيا و٦٧ تاجرا أجنبيا و١٢ فقط متعاطيا.

وأكـدت مديـرة البرنامـج الوطنـي للصحـة النفسـية بـوزارة الصحـة الدكتـورة ضياء فضل أن ضحايا المخـدرات من الفقراء والأغنياء، داعية إلى سرعة «إنشاء مراكز متخصصة لمعالجة المدمنين».

وأشـارت إلى أن عـلاج الإدمـان يكلـف أكثـر من ١٥ ألـف دولار(٣ ملايين ريال)، وأن المدمن يحتاج ٦ أشهر للعلاج.

مـن جهتهـا قالت خبـيرة الادمـان يمنـى الأسـودي إن » المدمن أصلا مريـض ولكن في اليمن كثير منهم يرفضون الاعتراف إلا في حالات متأخرة من الإدمان».

وتطرق الدكتور – مصعب الصوفي – نائب مدير عام مكافحة المخدرات إلى أن جرائم المخدرات من بينها السرقة والقتل والعمل في الدعارة.

١ .٧ .٢ ضحايـا التفجـيرات الإرهابية يسـتصرخون الدولة لانتشالهم من واقعهم المأساوي

تحقيق واع/ بغداد / الاء الربيعي ـ ١٨/ ٢/ ٢٠١٠م، 12:02 pm



تعد مشكلة ضحايا التفجيرات الارهابية من المواضيع المهمة التي تحتاج الى معالجـات جذريـة تنتشـل آلاف العوائـل العراقية من المـآسي والويلات وشـظف العيـش نتيجة لفقدان المعيل الاب او الابـن او الزوج دون ان ترى

هـذه العوائل الرعاية الكافية من الدولة بما يضمن الحياة الكريمة لها ،يضاف الى ذلك ان اغلب العوائل التي فقدت ابناءها او اعيقوا اثر الارهاب الاعمى او العمليات العسكرية لقوات الاحتلال تجهل الجهات المسؤولة عن رعايتها.

ونظرة للتعويضات التي حصل عليها ذوو الشهداء والجرحى نجعلك تصاب بخيبة امل كبيرة فمبلغ مليون دينار لذوي الشهداء وخمسمائة الف دينار للجرحى نجدها لاتعني شيئا لميزانية دولة تصل الى ٨٠ مليار دولار سنويا وهي لاتكفي مصروف شهر لعائلة من اربعة اشخاص بمساعدة الحصة التموينية (الغائبة) ولاتكفي ليوم او نصف يوم لنائب من اعضاء البرلمان حامي حقوق الشعب او لمسؤول بدولة الديمقراطية....(وكالة انباء الاعلام العراقي : واع) اجرت هذا التحقيق بموضوع ضحايا الارهاب لتضعه امام المسؤولين لعلها تجد التفاتة وان كانت متأخرة تنتشلهم مما هم فيه من ترد في المستوى المعيشي وضمان مستقبلهم ومستقبل اطفالهم....

الارملة هدى عبد الله محمد ٢٠ سنة من سكان جسر ديالى قالت:فقدت زوجي في عام ٢٠٠٧م، في حادث انفجار عبوة ناسفة قرب موقف للسيارات في منطقة جسر ديالى وحصل الانفجار في الساعة السابعة صباحا اثناء توجه زوجي لمزاولة عمله اليومي في بيع الشاي وكانت العبوة موضوعة قرب بسطته علما ان زوجي شاب لم يتجاوز العشرين من عمره ولم يمض على زواجنا في وقتها السنتان وكانت لدينا ابنة واحدة وتركني احمل طفلا والان انا مسؤولة عن تربيتها ولااملك شيئا فلا بيت ولا راتب تقاعدي ولا استطيع العمل لاني صغيرة في السن وانا حاليا اعيش مع اهلي وهم فقراء بالكاد يدبرون معيشتهم.

واشـارت هدى الى ان الجهات المسـؤولة تكرمت علينـا بعد ان راجعنا انـا ووالدي لمحافظة بغـداد مرات عديدة ومعاملات مرهقة بمبلغ ٢،٥٠٠ مليونـين وخمسـمائة الف دينـار ،متسـائلة عن مـدى اهمية هـذا المبلغ في ظل غياب الزوج والحاجة لتربية طفلين يحتاجان الى رعاية والى مدارس مناشـدة الجهات المسـؤولة ان تجد حلا لمعاناتهـا ومعاناة غيرها من الارامل من خلال تشريـع صريـح وواضح لحقـوق ضحايـا الارهاب وايجـاد راتـب تقاعدي لاطفالهـم يعينهم على تلبية متطلبات المعيشـة خاصة ان اكثر الشـهداء ذهبوا ضحية صراعات لاناقة لهم فيها ولا جمل. بحسب قولها.

امـا الارملـة حمدية حسـين ٣٥ عامـا فقالت:استشـهد زوجـي في احد تفجيرات الباب الشرقي حيث كان يعمل بائعا للملابس المستعملة (البالات) في سوق هرج، وتركنا دون معيل ولم اجد ملجأ التجئ اليه سوى اهلي الذين زوجـوني قبل اعوام لاعود اليهم هذه المـرة ولكن ليس وحدي وانما بصحبة اولادي الخمسـة نعيش بمساعدتهم ومساعدت اهل الخير في المنطقة لنستمر في العيش بهذه الحياة البائسـة وانا اتمنى الموت في كل يوم عندما يتكلم ابنائي عما يشـاهدونه في الشـارع لاقرانهم وهم يأكلون الحلـوى او يلعبون بالعاب مسـتوردة ومـا اكثرها فيـما هم يتحـصرون على لقمـة العيش،ولاسـيما انهم متفوقون في دراسـتهم فلا اسـتطيع ان اجعلهم يتركون دراستهم التي تكفل بها اخوتي ولكن الى متى الا يفترض بالحكومة ان تتحمل مسـؤوليتها وتحدد لنا راتبا نكف به انفسنا ذل السؤال».

الحاجـة ام زهـراء مـن سـكان حـي الخورنق في منطقـة الـدورة قالت: قتـل زوجي على يـد الارهابيين منذ عام ٢٠٠٦ ولـدي خمس بنات وعملت (خبـازة) منـذ مقتـل زوجي لاجل معيشـة اطفـالي فانا لم اتلـق اي دعم من

الدولة ومن مساوئ القدر اني تعرضت قبل عام لحادث مؤسف حيث سقط جدار البيت المتهاوي الذي اعيش فيه مع اطفالي علي وسبب لي كسوراً منعتني من الاستمرار في العمل والان اعيش على نفقات الجيران وما يجودون به من مساعدات عينية كالطحين او السمن ومساعدات مالية تعينني على تربية اطفالي ولم اجد أي التفاتة من المسؤولين في الدولة علما اني ضحية الصراعات السياسية التي تسببت بها الاحزاب،كان زوجي قتل وهو لم ينتم الى أي جهة حزبية او دينية».

أما حسين مهدي جواد (٢٣ سنة) كاسب قال « أنا من أحد الجرحى الذين تعرضوا لعمليات التفجير الإرهابي في سنة (٢٠٠٥م) وعلى أثر هذا الحادث فقدت يدي اليمنى في تفجير مدينة النور وسمعت عن تعويضات للجرحى لكني لم اهتم للموضوع لعدم قناعتي وقلت في قرارة نفسي هل ان المال سيعيد يدي، لكني بعدها حمدت الله لكون زملائي من الجرحى الذين ذهبوا لاستلام تعويضاتهم تعرضوا لهجوم ارهابي اخر اودى بحياة العديد منهم وعمق جراح البعض الآخر. وانا لحد الان لم اتلق اي رعاية من الدولة او اية جهة اخرى.

أسماء جاسم من سكان منطقة الصالحية -العمارات السكنية تقول «حين وقع حادث تفجير وزارة الخارجية تعرضت شقتنا الى تدمير شبه كامل بحكم قرب موقعها من مكان الانفجار وأيضاً بسبب الغاز الذي تعتمد عليه المنطقة والذي يتم تزويد الشقق به عبر أنابيب وليس بواسطة القناني مما أدى الى حدوث انفجار داخل الشقة وحريق أتى على كل شيء وتعرضت أنا وأولادي الثلاثة وابنتي الى إصابات مختلفة وحروق بسبب الزجاج المتطاير والحريق الذي حصل، وقد قامت بعض الجهات الحكومية

بزيارتنا وتسجيل أسماء من أجل الحصول على تعويض مادي قيمته(٥) ملايين دينار وقد استلمت بعض العوائل هذا التعويض أما أنا فلم أستلم لحد الآن ومن المؤمل أن أستلم خلال الأيام القليلة القادمة ولكني حصلت على مبلغ (مليوني دينار) من خلال المساعدات التي قدمها المسؤولون أثناء زياراتهم لنا تمت معالجتنا في المستشفيات الحكومية مجاناً. مشيرة الى ان هذا المبلغ وحتى في حال حصولنا عليه فانه لن يعوض الا الجزء اليسير مما فقدناه بالاضافة الى ان المراجعة للحصول على التعويض يشوبها الروتين واحيانا يكون متعمداً يجعلك تشعر انك تستجدي.

وحدثتنا السيدة فرات مجيد فالح عبيد (٣١ سنة) ربة بيت عن ماتعرضت له عائلتها قائلة «نحن من العوائل المنكوبة من جراء العمليات الإرهابية وعلى أثر ذلك فقدنا والدنا وأصيب أخواي (إحسان ١٩٨٥م، وأحمد ١٩٩٤م) وكانت حالة إحسان خطرة جداً حيث تكفل مجلس محافظة بغداد بعلاجه بعد عملية التعويض التي استلمتها عن والدي المتوفى وأخواني فعن والدي (٢,٥٠٠,٠٠٠) مليونان ونصف المليون وأخواني لكل واحد منهم (١,٠٠٠,٠٠٠) إضافة الى تكاليف العلاج، مبينة ان هذه المبالغ مع انها قد لبت جزءاً من احتياجاتنا الا انها لاتعتبر كافية لأن فيها مصاريف العلاج والعلاج الذي نحصل عليه من الجهات الرسمية غير كاف بالاضافة الى ان والدي كان مسؤولان عن تربيتنا ولدينا اخوة صغار ما زالوا يحتاجون الى الرعاية وهم طلاب مدارس وفقدان والدهم جعل اخوانهم الكبار يتكفلون برعايتهم مما يؤثر على مستقبلهم.

وطالبت السيدة فرات بايجاد دائرة او مؤسسة يقع على عاتقها رعاية ذوي ضحايا الارهاب تكون قريبة منهم وتستطيع ان تنظر لحالهم من خلال زيارة عوائل الضحايا تستطيع ان تقدر الضرر الذي اصابهم كون ربط

موضـوع التعويضات بالمحافظات فيه الكثير مـن الغبن للكثيرين لان مبالغ التعويضـات محددة بمبالغ معينـة دون النظر الى حجم الـضرر الذي يصيب العائلـة وان كان المفقـود او المعوق لديه مصدر رزق ام لا وكذلك عدد افراد عائلته التي كان يعيلها.

وبعـد هـذه اللقـاءات مـع اسر الضحايـا انتقلنـا الى الجهات المسـؤولة لنعـرض عليهم هذا اليسـير من المصاعب التي تتعرض لهـا العوائل العراقية التـي فقـدت ابناءها، وكانت وجهتنـا اولا محافظة بغـداد وألتقيت بالدكتور محمد حمـزة جار الله الشـمري النائب الأول الإداري لمحافظ بغداد وسـالناه عن حجم التعويضات التي تقدمها المحافظة لضحايا الارهاب وهل ان هذه التعويضات تكفي لاعالة اطفال وذوي الشهداء...

اجـاب... نحن في المحافظة وفق ماقره قانون تعويض المتضررين جراء العمليـات الإرهابيـة والعمليـات العسـكرية والعمليات الناتجـة عن الخطأ العسـكري، وهذا القانون دخل حيز التطبيـق في ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٩م، وهو قانـون رقـم (٢٠) لسـنة ٢٠٠٩م، وهـو قانون شـامل إذ يتضمـن تعويض الضحايـا مـن الشـهداء والمصابين وكذلـك تعويض الـدور والمحلات التي تـضررت بفعل الأحداث التـي ذكرتها وطبقاً للمرحلـة الماضية كانت هناك تعليـمات محددة لتعويض الشـهداء الذين كانـوا ضحايا الأعـمال الإرهابية، فقد شـملوا ضحايا الأعـمال الإرهابيـة المجهولة بقانـون التعويضات وبأثر رجعـي ابتـداء مـن ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٣م، مـن قانـون رقـم (٢٠) حيث كان الجديـد زيـادة في تعويـض الشـهداء والمصابين حيـث كان الشـهيد يعوض (٢,٥٠٠,٠٠٠) والجرحـى (١,٠٠٠,٠٠٠)، أمـا القانـون الحـالي فبلغ مبلغ التعويض(٣,٧٥٠,٠٠٠) بالنسـبة للضحايا المدنيين أما العسكريون

فتعويضهم (٥,٠٠٠,٠٠٠) وتم رفع نسبة التعويض للمصابين فأصبحت تـتراوح بين (١,٧٥٠,٠٠٠ ـ ٣,٥٠٠,٠٠٠) حسـب نسـبة العجز التي تحددهـا التقاريـر الطبيـة الصادرة من اللجـان الطبية ووفق ذلـك يتم إعطاء الفروقات لذوي الشـهداء الذين اسـتلموا مبلـغ (٢,٥٠٠,٠٠٠) مليونين ونصـف المليـون وكذلك الجرحـى الذين اسـتلموا مبالـغ أقل مـن القانون القديم حسـب القانون الجديد.بالإضافة الى ذلك القانون فقد اعتمد بقانون القرار الوظيفي الذي لحق بالمواطنين والعمل وترك العمل قسراً بسبب تلك الأحداث حيث ستعتبر تلك الفترة إجازة بدون راتب وبأثر رجعي العودة الى وظائفهم، وضمن القانون أيضاً تعويض الطلبة الذين تركوا مقاعد دراستهم بسبب ظروف الإرهاب حيث يتم إعادتهم الى مقاعد الدراسة وحسب تلك الفترة تقرر عدم الرسـوب. اما عن كفاية هـذه التعويضات من عدمه فنحن محددون بمبالغ معينة ولنا ميزانية محددة بذلك لانسـتطيع تجاوزها، مشيرا الى ان الامر لايقتصر على التعويضات فهناك راتب قدره ٢٥٠ الف دينار لبعض العوائل التي فقدت معيلها الوحيد.

مؤسسة الشهداء تبدي استعدادها لتبني اسر ضحايا الارهاب

ثم انتقلنا الى مؤسسـة الشـهداء وتوجهنا بسـؤال احد المسـؤولين هناك عـن دور المؤسسـة في رعاية شـهداء التفجـيرات الارهابية فاجابنـا بالقول: ان المؤسسـة غيرمعنيـة برعايـة ذوي شـهداء التفجيرات الارهابيـة بعد عام ٢٠٠٣م، وهي متخصصة برعاية الشـهداء من ضحايا النظام السابق.مشيرا الى ان المؤسسـة قدمـت المنح الماليـة والاراضي السـكنية لاكثر من ١٥٠٠٠ عائلة من ضحايا النظام السابق علما ان عدد العوائل التي تقع ضمن مسؤولية

المؤسسة يبلغ اكثر من ٣٢٠٠٠ عائلة.مبديا استعداد المؤسسة لتبني شهداء التفجيرات الارهابية في حال تم احالتهم عليها، نافيا في الوقت نفسه وجود نية لاستحداث هيئة اومؤسسة تعنى بضمان حقوق ضحايا التفجيرات.

ثم انتقلنا الى وزارة حقوق الانسان للتعرف على دور الوزارة برعاية ضحايا الارهاب، فحدثنا مفتش عام الوزارة لحقوق الإنسان قائلاً « ان لدى الوزارة قسم خاص يسمى قسم ضحايا الإرهاب وهو يقوم بمتابعة ضحايا الإرهاب أولاً بأول عن طريق الزيارات ونلقي الشكاوى من المواطنين الذين لايحصلون على حقوقهم .

وبسؤاله عن مستوى الدعم وهل هناك نية لزيادة هذا الدعم بمايكفل حياة كريمة لاسر الضحايا قال: ان هناك نقاشات مع الحكومة ودوائر الدولة المختلفة المعنية لاصدار قوانين خاصة بهذه الفئة.

الخاتمة

وبالنظر الى حجم الاضرار التي لحقت باسر ضحايا التفجيرات ومستوى الدعم المقدم لها نجد ان هناك تقصيراً كبيراً من قبل الدولة تجاههم فعلى الرغم من ان اكثر الضحايا قد حصلوا على اعانات ومنح مالية لكنها عادة لاتكفي لسد متطلبات معيشتهم خاصة العوائل التي فقدت معيلها الوحيد وهو يعمل باجر يومي وليس لديه مصدر دائم للدخل، وحجم الدعم المقدم لها يسد حاجتها لفترة معينة وبعدها تستمر المعاناة واغلب هذه الاسر اما تعتمد على مايجود به اهل الزوج او الزوجة او اهل الخير من الجيران والمعارف...وقد اتضح من خلال ماشاهدناه مايلي:

١ـ ان ربط موضوع التعويضات ورعاية اسر الضحايا بالمحافظات يحمل جوانب سلبية وهي ان المحافظة لاتعتبر دائرة متخصصة

وعليها مسـؤوليات متعـددة وان اهتمامها بهـذه الاسر يكون ثانويا وهي محددة بضوابط لاتستطيع تجاوزها.

٢ـ ان اغلـب ذوي الضحايـا لايعرفـون الجهـات الـلاتي يلجـأون اليها للحصول على حقوقهم خاصة النساء التي يصعب عليهن المراجعة كي يحصلن على حقوقهن اما لعوائق اجتماعية اولجهل بهذه الحقوق.

٣ـ لاتوجـد دائـرة متخصصة كمؤسسـة الشـهداء تسـتطيع ان تدرس حالات الضحايا وذويهم من خلال المتابعة الميدانية وترفع بها تقارير للجهات المسؤولة وعلى ضوئها يتم التعويض والرعاية .

٤ـ المسـاعدات الماليـة الممنوحـة محـددة بمبالغ معينة لاتنسـجم وحجم الخسارة التي تعرضت لها العوائل.

٥ـ غياب التخطيط المركزي الحكومي الذي يعتمد عل احصائيات دقيقة لعدد الضحايا ونوعية الاضرار وكيفية التعويض.

ونسـتطيع القول ان الحل الامثل لهؤلاء المتضررين يكمن في ايجاد دائرة متخصصـة تفتح لهـا فروع في جميـع المحافظـات تتابع ميدانيـا اسر الضحايا وتسـتمر في رعايتهـم وليس فقط تقـدم لهم اعانات وقتية بحيث تنتشـلهم من واقعهم المأساوي.

١ .٧ .٣ أهـوار العـراق مازالت تعاني آثـار الكوارث.. رغم البرامج المعدة لإزالتها

تحقيقات ـ واع/ بغداد/ تحسين صبار

٩/ ٢/ ٢٠١٠م ـ 2:39 pm



عرفـت أهوار العراق منذ فترة زمنية سـحيقة بميـزات اختصت بها من دون بقية المناطق في العراق او حتى في العالم فهي من اهم الأراضي الرطبة،في العـالم أجمع وكانت تزخر بجميع أشـكال التنوع والثـراء الاحيائي ما يميزها عن اية بيئة لما فيها من تنوع احيائي يشمل طيوراً نادرة وحيوانات برية ومائية فريدة ونباتات مختلف، وكانت نقطة عبور لملايين الطيور المهاجرة من روسيا حتـى جنوب أفريقيـا ومنطقة تكاثر لأنـواع كثيرة من أسـماك الخليج العربي وصنفـت مـن قبل الأمم المتحدة واحـدة من أهم مراكز التنـوع الأحيائي في العالم اجمع.

اغنى بلدة في العالم لاتتمكن من اعالة ساكنيها

يقول الباحث حسين علي ان اغنى بلدة في العالم اهلها مازالوا حفاة لا يمكنهم ان يستمروا في اعالة عوائلهم ان لم يكن للعائلة موظف في بغداد فجميع الدلائل تؤكد أن الاهوار في العراق تقبع فوق ثروات نفطية مهولة لم يتم التوصل الى الكشف عنها حتى الان ويعدها بعضهم عبارة عن بئر وحقل نفطي كبير محمي بطبقة من الماء والنبات وتتميز اهوار العراق ان لها إرثاً تاريخياً لا يمكن لاحد ان ينكره، فقد عاش عرب الأهوار فيها وهم من أقدم السلالات البشرية على وجه الأرض عرفوا فيما بعد بالمعدان،ثم ان هناك عدد كبير من الأهوار في مختلف دول العالم مثل مستنقعات فلوريدا في أمريكا لكن أشهر الأهوار في المنطقة العربية وفي الشرق الأوسط هي أهوار العراق،تؤلف اهوار العراق اكبر مساحة من الاراضي الرطبة في الشرق الاوسط وقد تعرضت الاهوار الى ضرر كبير بصورة تدريجية منذ بداية سبعينيات القرن الماضي بسبب اقامة السدود ومن ثم عمليات التجفيف التي نفذها النظام البائد.

اهملت جميع الحكومات العراقية المتعاقبة منذ تأسيس الدولة العراقية مناطق الاهوار

ويقول حنون مشكور موظف اهملت جميع الحكومات العراقية المتعاقبة منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١م، وحتى الان منطقة الاهوار ولم تعرها ادنى اهتمام فلا تزال اغلب مدارسها مبنية بالطين او اللبن وهناك مدارس تخرج منها ضباط ومهندسون واطباء ولكنها مازالت على حالها مبنية بالقصب والبردي برغم ان الأهوار العراقية تعد من اهم مصادر الغذاء ما يشكل ٤٠٪ من سوق الغذاء بالنسبة للمنتجات الحيوانية و٦٠٪ من سوق

الأسماك وتوفر فرص المعيشة لاهالي الاهوار في حدها الادنى ولكن تزامن وجود سلطة الجهل البيئي في العراق، مع واقع إقليمي معقد، على خلق أرضية خصبة انتعشت بها أحلام السيطرة والابتزاز في دول المنطقة،لكن عجز الديكتاتورية المبادة عن التوصل إلى حل معقول لمشكلة المياه، ببعديها الإقليمي والوطني، لجأت السلطة،كرد فعل على تصاعد السخط الاجتماعي وضغوط الحرب مع إيران، ولجوء المعارضة الشعبية لنظام الحكم آنذاك في الاهوار إلى اتخاذ قرار خطير من اجل القضاء على المعارضة التي كانت تتخذ من الاهوار ملاذا آمنا من وصول الاجهزة الامنية وهو ان تقوم بتجفيف الأهوار التي كانت تقدر مساحتها بين ١٨ إلى ٢٢ ألف كيلومتر مربع فكانت اكبر كارثة إبادة للبيئة عرفها التاريخ الحديث أدت إلى موت وإفقار آلأف العراقيين الذين اعتمدوا في طريقة معيشتهم واسلوب حياتهم على ما يصطادونه من اسماك وطيور وحيوانات من مياه الأهوار.

اضافة الى ذلك حدث تدهور كبير في نوعية البيئة في العراق اذ تشير أرقام المراقبة البيئية إلى ارتفاع في معدل درجات الحرارة في العراق قياسا بمعدلها قبل ثلاثين سنة مضت وانخفضت مساحة الارض الصالحة للزراعة وتراجع إنتاج الأرض إلى حد أصبح معه العراق مستوردا لنحو ٩٠٪ من حاجاته من الحبوب من الخارج، بعد أن كان يتمتع بالاكتفاء الذاتي من انتاجها.

من يزور الجنوب العراقي يمكن ان يلمس حجم معاناة اهل الاهوار قديما وحديثا

ويقول سلام عادل «مدرس» من يزور الجنوب العراقي يمكن ان يلمس حجم معاناة اهل الجنوب وخاصة اهل الاهوار قديما وحديثا وفي الوقت الذي نعيشه اليوم فجميع الحكومات التي تعاقبت بعد ٢٠٠٣ لم

تقدم لجنوب العراق أي شيء يمكن ان تشير إليه فتجد ان الشوارع مازالت على حالها من دون تعبيد ولم تبن الحكومة مستشفى او مركزاً صحياً في جميع مناطق الاهوار وعلى من يمرض احد افراد اسرته ان ينقله الى بغداد او الى احدى دول الجوار عله يجد الشفاء والعلاج هناك اما مأساة الاهوار فنجد ان الاجانب هم من يتكلم عنها ويقومون بمحاولات من اجل التقليل من معاناة اهلها فاول من تكلم عن الكارثة التي لحقت الاهوار واهلها كان في عام ٢٠٠١ حيث قامت الامم المتحدة بتنبيه المجتمع الدولي بشأن تدمير الاهوار العراقية عندما قامت بنشر صور التقطتها عبر الاقمار الصناعية توضح فقدان ٩٠٪ من مساحة الاهوار وانها سوف تختفي في غضون ٣ – ٥ سنوات ما لم يتم اتخاذ اجراءات عاجلة بهذا الشأن،وبعد سقوط النظام قام مواطنون بتحطيم السدود وظهرت اول عملية اعادة اغمار بالمياه لبعض اجزاء الاهوار ولكن انخفاض مستوى المياه في نهري دجلة والفرات اخر عملية اعادة اغمار الاهوار بالمياه وهذه الكارثة البيئية التي لحقت بتلك المنطقة جعلت برنامج الأمم المتحدة البيئي يعدها في تقرير له نشرته جريدة واشنطن بوست أسوأ كوارث العصر مثلها مثل كارثة بحر الآرال وغابات الأمازون الاستوائية.

اهالي الاهوار لهم عتب كبير على وسائل الاعلام العراقية فهي لم تركز على مآسي الجنوب وانشغلت بالارهاب

ويقول محمد فاضل «اعلامي» ان اهالي الاهوار لهم عتب كبير على وسائل الاعلام العراقية فهي لم تركز على مآسي الجنوب وانشغلت بالارهاب والارهابيين واجد ان الارهابيين لا يقومون باعمالهم الا في المناطق والاماكن التي يمكن ان تصلها وسائل الاعلام بيسر وسهولة لكي تنشر ما قام به الارهابيون من تفجير او تفخيخ فيما اهمل الاعلام العراقي مأساة اهل

الجنوب حيث ان كارثة تجفيف الاهوار تعد اكبر جريمة بيئية عرفها العراق في العصر الحديث وأسبابها متعددة لا يمكن ان نقول عنها انها داخلية فحسب ولكن منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث فمن أهمها السدود التي تم انشاؤها سواء في تركيا ام في سورية منذ خمسينيات وستينيات القرن الماضي كانت بداية الكارثة فقد أدت إلى نقص الانسياب الطبيعي للمياه عن الاهوار بشكل تدريجي وزاد الأمر بشكل خطير في تسعينيات القرن الماضي وتأتي الحروب سببا مباشراً لتفاقم أزمة وكارثة تجفيف الاهوار عندما أنشأت القوات العراقية طرق الإمدادات للوحدات العسكرية ما أدى إلى جفاف الثلث الشرقي من الاهوار،وقد فصلت منظمة حياة الطيور الدولية في تقريرها في شباط ٢٠٠٣م، أضرار الحرب على البيئة العراقية، وحذرت الأمم المتحدة من الكوارث البيئية التي قد تصيب المنطقة بها ومنها تحطم مباشر للبيئة من جراء استخدام الأسلحة الثقيلة وتحرك الوحدات، وهذا ادى الى تحطم الحياة البرية بسبب نزوح سكان الاهوار الى المحافظات والمدن المجاورة وسبب انقراض أنواع لا حصر لها من الطيور والنباتات والحيوانات والاسماك النادرة التي لا توجد الا في اهوار العراق.

الظروف الصعبة تدفع الشباب للانخراط بالأجهزة الأمنية

ويقول حمادي عبود «هجر مناطق الاهوار بعد ٢٠٠٣م، الكثيرون من اهلها وشبابها خلال عقدين من الزمن وخاصة الشباب الذين تطوعوا في الجيش او الاجهزة الامنية الاخرى برغم علمهم بما سوف يواجهونه في هذا السلك بسبب عدم وجود فرص عمل او وسيلة اخرى يمكن ان يعتاش عليها الشاب خاصة وان اغلب الشباب متزوجون ولهم اطفال مسؤولون عنهم فيما ابتعدت الحكومة عن تقديم اية خدمات لنا فيما نجد ان احدى

المنظمات الدولية التابعة للامم المتحدة قامت بنصب منظومات لتصفية المياه في المناطق القريبة من الاهوار حيث ان الماء الصالح للشرب من اشد الاحتياجات الحالية للمواطنين.فلا يمتلك معظم سكان الاهوار او المناطق القريبة منها خياراً سوى شرب الماء غير المعالج وغير المنقى من الاهوار مباشرة فيما قامت مجموعة ممن لا يخافون الله ويحاولون ان يسيطروا على المنطقة من خلال تهديد تلك المنظمات عندما بدأت بنصب محطة لتصفية المياه في المنطقة بحجة انهم عملاء وجواسيس ولا ادري عن أي امر يتجسسون وهم يحتلون العراق ارضا ومياهاً وسماء وقد غادر هؤلاء فيما بقينا نجلب الماء من الاهوار ونشربه بشكل مباشر من دون ان يمر بمرحلة التصفية او التعقيم.

بقيت دوائر الدولة على حالها فلم نر أي تجديد بل ان القديم منها بدأ يتهالك بسبب عدم وجود الصيانة

ويقول هادي حسن «موظف» بقيت دوائر الدولة على حالها فلم نر أي تجديد بل ان القديم منها بدأ يتهالك ويتدمر بسبب عدم وجود الصيانة او المتابعة الجادة لمعظم مناطق الجنوب ومدنه وخاصة مناطق الاهوار ويمكن ملاحظة عدم تواجد لدور دوائر وزارة الزراعة لتطوير الواقع الزراعي في مناطق الاهوار التي يمكن ان تكون من اهم المساهمين في سد النقص بالمواد الغذائية ليس في جنوب العراق فحسب وانما في العراق ويمكن تصدير الفائض منه حيث تعد اهوار العراق من اكبر الاهوار في العالم وتتميز بأنها سهول قسم منها خصب جداً والقسم الآخر يحتوي على نسبة عالية من الأملاح وشديدة الانبساط لا يرى فيها غير تلال واطئة هنا وهناك وأغلبها تعد مواقع مدن أثرية قديمة،وقد تم منذ عام ٢٠٠٣م، رفع مناسيب المياه

في الاهوار بسـبب اتساع مسـاحتها واصبحت تضم مسـاحات عميقة تحيط بها مسـاحات من المسـتنقعات الضحلة المغطـاة بنمو كثيـف لنبات القصب والـبردي وعندما تنخفض مناسـيب نهـري دجلة والفـرات ينحسر الماء عن المسـتنقعات الضحلة وتتحول إلى أراضٍ يابسـة صالحة للزراعة،أما العميقة فيقل منسـوب الماء فيها وأما اقسامها العميقة جداً فتبقى على شكل بحيرات دائمـة، وتغطـي وجه ماء الاهـوار في اغلب اقسـامها باسـتثناء العميقة منها مسـاحات واسـعة من القصب الـبردي الذي يسـتخدمه اهـالي الاهوار من المعـدان كعلف للجامـوس اولبنـاء مسـاكنهم،فيما تنتـج الأراضي المجاورة للهور والتي تتعرض للانغمار بالماء كل سـنة بشـكل منتظم اكثر كميات الرز «الشـلب» العنبر والذرةالصفراء التي تشتهر بها مناطق الاهوار في حين ينمو البردي في الأقسام التي لا تزرع من هذه الأراضي أما النبات الكثير النمو في الهور فهو القصب الذي ينحصر نموه في الاهوار الدائمة.

اسـاطير وحكايات اهل الاهوار تـروي أن ملوكا ارادوا القضاء على الاهوار فلم يكتب لهم النجاح

ويقول المعمر شـلتاغ ريسـان «٨٠ عامـا» ان هناك حكايات واسـاطير كان اهالي الاهوار يتداولونها في جلسـاتهم ان ملوك الفرس من الساسـانيين في القـرن الخامـس الميـلادي ارادوا تجفيف الاهـوار لتكون حقولا شاسـعة لزراعـة الحبـوب ولم يتمكنـوا مـن تحقيق ذلـك الحلم كونهـا امتـداداً طبيعياً للنهر،وكانـت متاهة مائية كبيرة تؤوي الفاريـن من المعارك التي حدثت بين مختلـف الامبراطوريـات المتحاربـة وحتى بعد انتشـار الاسـلام ودخوله الى العراق فمنطقة الاهوار كانت تشـكل مصّدة عازلة بين الدولتين المتحاربتين وقد اهملت فترة طويلة مـن الزمن،وعندما دخلنا الى نهايات القرن العشرين

فان صدام لم يكن يحلم من وراء تجفيف الاهوار الا القضاء على بؤرة المقاومة العراقيـة الموجودة في الاهوار واتخذت منها ملاذا تلتجئ اليه عندما يطاردها ازلام النظام من الاجهزة الامنية او الجيش.

تجفيف الاهوار كارثة بيئية يعاني منها العراق وتمتد آثارها الى المنطقة

ويقول عبدالرسول حمدان «مهندس ري» إن تجفيف الاهوار كارثة بيئية يعـاني منها العراق مشـكلة خطيرة جدا وسـوف تمتد اثارهـا الى جميع المنطقة فلابـد من دراسـات وعقد اتفاقيات مع الدول المتشـاطئة مع العراق او التي تنبـع منهـا روافد وانهار صغـيرة او جداول وكان موسـم ٢٠٠٧ـ٢٠٠٨م، واحـدا مـن اقل المواسـم مطرا على الاطـلاق منذ ٥٠ عاما كما كان مسـتوى تسـاقط الثلوج في منابع دجلة والفرات في تركيا اقل من الاعتيادي منذ اكثر من ٤٠ عاما،اما بالنسبة للاهوار التي تغذيها مياه دجلة والفرات فإن شهري آذار ونيسـان المقبلين يشـكلان فترة مهمة للغاية، وفي حال تسـاقط الامطار بمعدلات فوق الطبيعية، فإن كثرة السـدود التي شـيدت على حوضي دجلة والفرات كفيلة بحجب نسـبة كبيرة من المياه عن الاهوار فإن نظام الانسـيابة الطبيعيـة للمياه لن يعـود ثانية ما لم تجر ادارة السـدود الواقعة خارج العراق كجـزء مـن نظام متكامل ومنسـق يشـمل حـوضي النهرين وعـلى الحكومة العراقية ان تفعل الاتفاقيات الدولية ما بين بريطانيا وفرنسـا بشـأن تقاسـم مياه الانهار من ضمان توزيع عادل ومتساو للموارد المائية فقد عملت بريطانيا وفرنسـا على عقد اتفاقية بهذا الشـأن في بداية عشرينيات القرن الماضي عندما كانـت مياه دجلة والفرات دائمـة الفيضان ووافقت عليهـا الحكومات التي اعقبت حكومة الاحتلال سـواء العراقية ام الحكومة السـورية بينما لا تحاول الحكومة العراقية عقد مثل هذه الاتفاقية ونحن في الالفية الثالثة.

النتائج

- محاسبة القائمين على اعمار الاهوار عما صرفوه من مليارات واين انفقوها
- تفعيل الاتفاقيات مع الدول المتشاطئة مع العراق من اجل زيادة حصة العراق من المياه
- بناء سدود على نهري دجلة والفرات من بداية دخولهما الاراضي العراقية وحتى البصرة ورفع مناسيب المياه في حوضي النهرين تدريجيا وصولا الى الاهوار

وتبقى كارثة تجفيف الاهوار رمزاً للعالم الحر ودرسا تتناقله الاجيال ان الانسان في يوم من الايام حارب البيئة وجفف الاهوار وقتل الحيوانات فيها والاسماك وهجر الانسان وما حل فيه من دمار يؤرق مضاجع العلماء لأعوام عديدة مقبلة.

١ .٧ .٤ تحت شعار «النظام بوابة المستقبل» انطلاق فعاليات اسبوع الجوازات الثالث في جميع المناطق اليوم

اللواء سجيني: أسابيع الجوازات تسهم في تحقيق الهدف المرسوم في هذه المسيرة التنموية

جريدة الرياض Saturday 02 February 2002 No.12276 Year 38ج السبت ١٩ ذو القعدة ١٤٢٢هـ العدد ١٢٢٧٦ السنة ٣٨

تقرير: محمد الغنيم



تنطلق بمشيئة الله اليوم السبت فعاليات اسبوع الجوازات الثالث في كافة مناطق المملكة تحت شعار «النظام بوابة المستقبل» وبمشاركة جميع إدارات الجوازات في المناطق والمحافظات إضافة إلى العديد من الجهات الحكومية والأهلية المختلفة. وقد أعدت المديرية العامة للجوازات برنامجا حافلا لانجاح هذا الاسبوع يشتمل على العديد من النشاطات والبرامج المختلفة والمكثفة لتحقيق الأهداف المؤملة من خلال هذا الاسبوع السنوي. وكانت المديرية العامة للجوازات قد أقامت عام ١٤٢٠هـ اسبوع الجوازات الأول بعد صدور موافقة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير

الداخلية على إقامة اسبوع سنوي للجوازات تكرس من خلاله كافة الوسائط والوسائل الإعلامية لتحقيق مفهوم الأمن الشامل وإبراز أهمية التعاون مع رجال الجوازات والتعريف بمهامهم ومسؤولياتهم والقيام بتنفيذ العديد من البرامج والفعاليات الإعلامية الخاصة بهذه المناسبة حيث كان شعار اسبوع الجوازات الأول جهودنا مستمرة في تحقيق أجيالنا» وتواصلا لنجاحاته في تحقيق اهدافه اقيم العام الماضي ١٤٢١هـ الاسبوع الثاني تحت شعار «وطن بدون مخالفات» لايضاح واقع ما تقوم به الجوازات من اسهامات واضحة لحفظ أمن وسلامة الوطن والمواطن والمقيم في كافة الظواهر والآثار السلبية الناجمة من مخالفة لوائح وتعليمات نظام الإقامة في المملكة والدور الذي تؤديه لتقديم الخدمة الراقية لكافة المواطنين والمقيمين والزائرين، واليوم تنطلق الفعاليات والبرامج الحافلة لاسبوع الجوازات الثالث تحت شعار «النظام بوابة المستقبل».أهداف الاسبوع يهدف اسبوع الجوازات السنوي إلى تحقيق العديد من الأهداف المهمة كرفع مستوى الوعي العام بالمهام والمسؤوليات المناطة بقطاع الجوازات بوصفه جهازا أمنيا يقدم خدماته لكافة شرائح المجتمع، وكذلك رفع مستوى وعي المواطن والمقيم بأنظمة وتعليمات ولوائح الاقامة والعمل بالمملكة، إضافة الى تعميق الحس الوطني ورفع درجة الغيرة على مستقبل الأجيال، ودعم خطط التوطين وإيجاد الأيدي العاملة الوطنية المؤهلة في كافة المجالات، كما يهدف كذلك لغرس حب العمل والنظام والالتزام به في نفوس الناشئة.مشاركة إعلامية واسعة تشارك في هذا الاسبوع جميع وسائل الإعلام المختلفة بالعديد من البرامج والأنشطة المتنوعة والهادفة بالتنسيق مع المديرية العامة للجوازات حيث تبث «الاذاعة» خلال هذا الاسبوع عددا من الحلقات الاذاعية المتنوعة مثل «لحظة صدق» وبرنامج «٩٩٢» الإذاعي، كما ستعد الاذاعة عددا من المقابلات الشخصية

مع المسؤولين بالجوازات لطرح القضايا المتعلقة بالقطاع مع المواطن والمقيم، اضافة الى ذلك سيكون هناك عدد من الندوات الإذاعية عن الظواهر السلبية للاقامة غير المشروعة والموضوعات ذات العلاقة، وكذلك كثير من البرامج الأخرى المتنوعة. كما سيقوم «التلفزيون» بعرض برامج درامية مثل «٩٩٢» وكذلك بث لوحات إعلامية خاصة بالاسبوع الثالث بين الفقرات، وايضا سيكون هنالك مسابقة كبرى بعنوان «معا.. نعمل للوطن»، مع برامج أخرى متنوعة، كما سيتم الاستفادة من البرامج المباشرة كاللقاءات والحوارات والتقارير التلفزيونية. من جانبها ستلعب «الصحافة» دورا كبيرا في إبراز الانشطة المقامة خلال هذا الاسبوع وجدول فعاليات الاسبوع التوعوية المختلفة، كما سيقوم الكتاب والمثقفون الإعلاميون بدورمهم في الصحافة من خلال طرح القضايا للقراء عبر المقابلات والتحقيقات الصحافية الهادفة، كما ستقوم الصحف بنشر اللوحات التوعوية المعتمدة وتغطية الجولات الميدانية لضبط المخالفات التي لها علاقة مباشرة بالمخاطر الصحية والاجتماعية والاقتصادية. كما تم استغلال «لوحات الطرق» بالتنسيق مع أمانات المدن في مناطق المملكة والوكالات الإعلانية لبث اللوحات التوعوية من خلال المؤسسات والشركات الإعلامية وفق التصاميم المعتمدة، وإضافة إلى انه تم اصدار عدد من «المطبوعات» كدليل الاسبوع، ومطويات ونشرات متنوعة، وكذلك طباعة بوسترات وكتيب جدول برامج وفعاليات الاسبوع.

من جانب آخر ستقوم جميع مناطق المملكة بتنظيم مسيرات توعوية هادفة عبر الميدان وفي الطرقات والشوارع خلال هذا الاسبوع، كما ستنفذ الشؤون العامة بالمديرية العامة للجوازات مسابقة ثقافية وفنية متميزة رصدت لها جوائز ومكافآت ثمينة. النظام بوابة المستقبل: عن شعار اسبوع الجوازات الثالث «النظام بوابة المستقبل» يؤكد مدير عام الجوازات اللواء

عبدالعزيـز بـن جميل سـجيني أهميـة النظـام في المنظـور العام كدلالـة أكيدة لمسـتوى تقدم الأمم، ويقول اللواء سـجيني اننا نـدرك ان الالتزام بالأنظمة المعمـول بها في مختلـف دول العالم تعكس مدى وعي الشـعوب التي تتعامل وفـق المفهـوم حيث نسـعى جاهديـن لتحقيق هـذا الأمر فيما يتعلـق بأنظمة ولوائـح الإقامة والعمل في المملكة لأننا لمسـنا تجاوبا كبيرا من خلال حملاتنا الإعلاميـة والميدانيـة والتعـاون الـذي أبداه المواطـن والمقيم على حد سـواء في تحقيـق أهدافنـا الوطنية وحمايـة هذه البلاد مما يحدثـه التخلف عن المغادرة والمخالفـة لأنظمـة الاقامة والعمـل من آثار سـلبية لمختلـف جوانب الحياة الأمنية والاقتصادية وفوق كل ذلك الآثار السلبية الناجمة عن هذه الظاهرة.

وأضاف اللواء سـجيني في كلمة له بهذه المناسـبة تصدر كتيب البرنامج الإعلامي لاسـبوع الجـوازات الثالث ان المواطن اصبـح رجل الأمن الأول الـذي وقـف حاجزا قويـا وسـدا منيعـا لمواجهـة ومكافحة كافة الأشـكال الظاهـرة والذي يسـعى لتحقيق أهدافنا التي هي أهدافـه والمصلحة الوطنية التـي هو محورها ومرتكزها.وأشـار إلى ان مجموع أعـمال وإنجازات المديرية العامـة للجوازات وإداراتها في المناطق والمحافظـات إضافة الى القبول الذي حظيـت به تلك الخدمات المقدمة للمواطن والمقيم أكدت قناعتنا بأن تسـهم اسابيع الجوازات في تحقيق الهدف المرسوم في هذه المسيرة التنموية التي ترعاها حكومة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني حفظهم الله.وفي ختام كلمته دعا اللواء سجيني الجميع للتفاعل مع المديرية في هذه الجهود التي وضعت لخدمتهم وسـلامتهم وأمتهم بكل شفافية وتقدير.
دلالات الشـعار: يعطي شعار اسبوع الجوازات الثالث دلالات مهمة حيث يعبر امتداد الكتاب مع قرص الشـمس المشرقة أفقيا الموجودة في الشعار عن اتسـاع حظ الانسان عندما يتمسـك بمنهج الحق، في حين يرمز اسم المناسبة وشـعار القطـاع على درفة البـاب في الناحية اليمنى من الشـعار على الانتقال

نحـو مرحلة جديدة، كما يعطي النظر من خلال فتحة الباب الأمل والتفاؤل على الإقدام لحياة أفضل.وجاء اختيار عبارة «النظام بوابة المسـتقبل» لتوجيه فكـر المتلقي للأخذ بأسـباب النظام كمدخل للمسـتقبل الواعد بإذن الله، في حين تم وضع تاريخ المناسـبة في الشـعار بالوضع العمـودي تأكيدا على الحد الفاصـل بين مرحلة سـابقة ومرحلة آتية.اسـتمرار الفعاليات تجدر الإشـار إلى ان فعاليات هذا الاسـبوع التي بدأت انطلاقتهـا الفعلية صباح هذا اليوم السـبت ستستمر حتى نهاية يوم الاربعاء المقبل ٢٣/ ١١/ ١٤٢٢هـ، الموافق ٦/ ٢/ ٢٠٠٢م، حيث سـتكون طيلة أيام هذا الاسـبوع حافلـة بالعديد من المسابقات المختلفة والزيارات الخاصة والدورات الرياضية وكذلك عدد من البرامج الإنسـانية وتقديم الجوائز القيمة، كما سـتحفل بعدد من الأمسـيات الفنية والبرامج الشاملة، إضافة الى المشاركات المختلفة.

١ .٧ .٥ بنـي قيس..خيـارات الموت الثلاثة:الميـاه.. التلوث البيئي.. الحوادث !

(الإصـلاح نت.. يعيد نشر التحقيق الصحفي الذي أودى بحياة الفقيد الربوعي الذي نـشر بصحيفـة القاهـرة المحليـة بمحافظة حجـة (العـدد ٩٥ صفر ١٤٢٩هــ ـ فبراير ٢٠٠٨م)

القاهرة / بني قيس / محمد ربوعي:

خمس زيارات متتالية خلال شـهر تقريباً منذ علمت السلطات (المحلية والمركزيـة) بالوبـاء الناتـج عن التلـوث البيئي في مديرية بنـي قيس من قبل وزارة الصحة والمياه والمؤسسة العامة للمياه وقيادة المحافظة والجهات المعنية فيها كانت كفيلة بإشـعار المواطن والمسـؤول في المديرية على السواء وايقانهم باليـأس من أي حل للمشـكلة الأساسـية وهي توفير مصادر ميـاه نقية بدلاً

مـن تعاطي الناس الميـاه الملوثة ـ نظراً لعدم وجـود غيرها ـ خاصة وأن تلك الزيارات المتعاقبة لم ينل المواطن منها سـوى وعود واهية لا أثر لها حتى الآن على أرض الواقع.

هاهـي المشـكلة ما زالت في أوجها دون أي حل، فـما زال التلوث البيئي للمياه السـطحية الجاريـة في قاع وادي لاعـة (المصدر الوحيـد لأغلب أبناء المديريـة) كـما أن المواشي وغسـيل الملابس ومخلفـات البشر مختلطـة ببعضها البعض وسط المياه التي يرتادها الأطفال والنساء من طالبي المياه، ولا زالت المعاناة قائمة وحلول الجهات المسؤولة لا تبدو في الأفق إلا كالسراب.

إلى جانـب هـذه الكارثة أضاف سـوء الضبـط للعابثين بالبيئة مشـكلة أخرى تكاد تقضي على الإنسان بعد أن قضت على الثروة الحيوانية والزراعية في منطقـة بني صيفان (إحدى عزل المديريـة ـ والتي كانت تعد من أخصب المناطـق الزراعية والآن لم تعد صالحة لذلك والسـلطات على علم بذلك منذ سنوات ولم تحرك ساكناً... إلخ من مشاكل هذه المديرية الغائبة عن اهتمامات السـلطات، والحاضرة في الاسـتغلال لمواطنيها البؤساء في كل دورة انتخابية مقابل وعود زائفة لا واقع لها..

سؤال: أنت السبب يا مواطن !!

لا أدري بأي وجه أو قيم أو مسـؤولية جعلت أحد المسـؤولين (من العيار الكبير جـاء من قصور صنعاء العاجية) ليتحدث وبـكل (صراحة) عند زيارته للمديرية بأن المواطن بالمديرية هو السبب فيما جرى له وهو من يتحمل مسؤوليته وعليـه ـ أي المواطـن ـ أن يوجـد البديل لنفسـه، ولا ندري كيف اسـتطاع هذا المسؤول أن يتحمل المشاق من صنعاء إلى بني قيس ليلقي هذه النصائح (الغالية) للمواطنين ويعود (ليستلم بدل السفر الذي هو الهدف من الزيارة !!).

ما بدأوا حتى اعلنوا النهاية

مـا أن بدأت الحملة الطبيـة لمنظمة الصحة العالمية ومنظمـة أطباء العالم الفرنسـية ووزارة الصحة الخاصة بالإسعافات الأولية لمرضى التلوث البيئي في مديرية بني قيس حتى غادرت معلنة القضاء على المرض والتلوث ـ حسب قولها وفعلها بالتخـلي عن مواصلة المعالجة للكارثة البيئية في المنطقة ـ المرض الـذي لا يزال (محمد دحمـسي) في منطقة ربع البوني وغيره العشرات من أبناء المنطقة يصارعون المرض منذ أكثر من شـهر دون اسـتجابة لنداء الأهالي من قبل الجهات الصحية بالمديرية والتي ينطبق عليها المثل (ما تفعل المرأة البطل في البيـت العطل) وهـذا ليس تبريراً لها وإنما حقيقة الوضع الصحي بالمديرية الذي يعاني من خلو الخدمات الصحية من أدوية وأجهزة فحص تشخيصية.

العزاء قائم

لنبدأ من الأخـير وبالتحديد من قرية بني الربوعي حيث يجتمع الأهالي بمـن فيهم أمين عـام المجلس المحـلي بالمديريـة أحمد الشـمري لأداء واجب العزاء في وفاة طفلة ومسنة منتصف يناير الماضي من أهالي قرية بني الربوعي متأثريـن بالوبـاء الذي لم تفصح الجهات الصحية بماهيتـه غير أنه تلوث بيئي ناتج عن سوء الحفاظ على نظافة المياه السطحية بالوادي.

أعود بك قارئي العزيز إلى مقيل العزاء الذي كان حديث الناس فيه عن الكارثة البيئية وغياب الدور الرسـمي في وضع المعالجات اللازمة لها وحيث كان أمـين المجلس المحلي (الشـمري) يعلن عن الوعود والحلول المسـتقبلية التي ربما يقوم المجلس مع الجهات ذات العلاقة بتنفيذها مع السنوات القادمة حيث أكد في حديثه بأن المجلس المحلي بالمديرية قد اعتمد مبلغ ثمانية ملايين ريـال ضمـن ميزانيته لهذا العام بغرض تأهيل مشروع المياه المتعثر منذ خمسـة

عشر عاماً والبحث عن مصدر لمياه المشروع ـ في صورة كأنه قد حل المشكلة البيئية وحاجة الناس للمياه النقية حالياً ـ وفيما يؤكد الأمين العام بالمديرية بأن المرض قد توقف عن الانتشار منذ أكثر من أسبوع نسي بأنه جاء معزياً في من كان الوباء سبباً في وفاتهم وهو ما قوبل باستهجان من قبل الأهالي.

وفيما يتعلق بتهاون السلطات المحلية في التعامل مع الكارثة البيئية أكد عضو المجلس المحلي سابقاً الأستاذ ناصر ربوعي بأن المرض ما زال في انتشار متواصل وما زال العديد من أهالي القرى المنتشرة في المديرية خصوصاً من لم يحصلوا على المياه النقية وهم الغالبية كما يشير بأنه بالرغم من إبلاغهم للسلطات الصحية بالمديرية عن تلك الحالات التي تعاني من المرض حالياً إلا أنهم لم يجدوا تجاوباً منهم الأمر الذي دعا من يستطيع على إسعاف قريبه إلى المركز الصحي يذهب به والعلاج من الصيدلية التجارية لأن المركز الصحي فارغ من الأدوية ومن لم يستطع عليه (بالبصل والزبادي) والانتظار لما يأتي به القدر وبحسب ناصر ربوعي فإنه من المتوقع أن يعود المرض بصورة أشد إذا ما تركت المنطقة دون اتخاذ أي إجراءات من شأنها توفر المياه النقية للناس وبصورة عاجلة.

حيرة .. ونضال

يقول المواطن أحمد الشدادي، يا أخي أصبحنا في حيرة، إن قلنا للسلطات المحلية والمسؤولين ونحن نطالب بحقنا في الحصول على مياه نقية لا إله إلا الله قالوا إرهابي، وإن قلنا إحنا متنا قالوا متطرف، وإن قلنا نشتي ماء وكهرباء قالوا لعبة سياسية، ويتساءل إلى متى سنظل مهمشين من الدولة، حتى من شربة الماء النقية.

الشـدادي، ناضل خلال الفـترة الماضية من الكارثة قدر اسـتطاعته مع مـن حوله مـن المواطنين الأحـرار إلا أنه تعرض للاعتقال بدايـة يناير الحالي حين أراد أن يقوم باسـتخدام أسـلوب حضـاري في التنديـد والمطالبة بحقه وأمثالـه مـن الناس لا لـشيء إلا لأنه خرج مـع عدد من الشـباب يهتفون في شـبه مظاهرة سـلمية نريد ماء أيـن الدواء وكان أن واجههـم أثناء ذلك وفد سـياحي فكان عقابه الاعتقال لأكثر من أسـبوع في سـجن يقول عنه بأنه لا يصلـح حتـى للحمير التي إن وضعت فيه سـتموت بالفعـل حيث يجتمع في مكان واحد مكان النوم وحيث يقضي الإنسان حاجته ومحل الأكل والشرب فكيف سيكون الحال في هكذا زنزانة لا تنفذ إليها الشمس البتة.

وعود.. والغريم مجهول

الشـيخ عـلي جوهري عضـو المجلس المحـلي بالمديرية عنـد حديثنا عن مـشروع الميـاه المتعثر منذ أكثر من خمسـة عشر عامـاً وما الذي تم بشـأنه من متابعـة أكد بأن هنـاك عدداً من المتابعـات للجهات ذات العلاقـة بالمياه منذ عشر سـنوات للحصول على تمويـل لتوفير المياه للمشروع لكـن دون فائدة، وهو ما اعتبره الأهالي نوعاً من التخدير المؤقت والذي لا فائدة منه.

مشاريع للمسؤول فقط

وفيما تعاني أغلب مناطق المديرية من شـح المياه النقية وعدم توفرها كان لعضو مجلس النواب الشـيخ حسـن هفج وأمين عام المجلس المحلي الشـيخ أحمد الشـمري جهود في المتابعة لتوفير مشروعين للمياه كل في قريته المحيطة به والتي يفيد الأهالي بأنها عبارة عن مشـاريع خاصة وليسـت عامة تسـتغل لصالحهما الشـخصي ولهذا لا يمكن لهما أن يشـعرا بحجم المعاناة التي يمر بها النـاس جراء شـح الميـاه، هذا إلى جانب مـشروع ثالث يقـع في منطقة تدعى (اللعاكبة) لا يستفيد منه سوى خمسمائة نسمة فقط.

وآخر معتقل.. ومضخات بيعت

وكما تبين الصورة الموضحة لمشروع المياه الذي يقع وسط وادي لاعة حيث قيد بالسلاسل ولم تقم له قائمة منذ أكثر من خمسة عشر سنة حين تم تعبئة خزان الماء فيه بالقلاب الذي لا زال شاهداً وصاحبه على ذلك حتى يقوم محافظ المحافظة حينها (علي حسن الأحمدي) بضخ الماء من ما سورة المشروع التي أصبحت مملوءة بالتراب، وكما يقول صاحب القلاب بأنه نادى المحافظ حينها بأن المشروع لا تتوفر له المياه وقد تم الضحك على المواطن بافتتاحه، وبقي المشروع لاستغلاله مع مراحل الانتخابات القادمة كوسيلة ضغط على الناس أو ترغيب.

إلى جانب أن هناك أربع مضخات صرفت باسم مديرية بني قيس قبل سنوات وتم بيعها من قبل عدد من المشائخ بمبلغ ثلاثة عشر مليون ريال توزعوها لصالحهم الشخصي ورفعوا تقريراً بأن المضخات تعمل بصورة جيدة، ومن يريد التأكد عليه بالنزول الميداني.

التعليم تأثر

يؤكد مدير التربية بالمديرية منصور التاج بأن الوباء إلى جانب انتشار مرض الملاريا الذي يعتبر هذه الأيام أخصبها له يؤثر في عملية الدراسة لدى الطلبة حيث تصل نسبة الحضور للطلبة حوالي ٦٠٪ فقط نتيجة مرض الطلبة بالملاريا الشديدة والمنتشرة بكثرة دون وجود لأي مضادات أو أعمال وقائية من قبل الجهات الصحية، مشيراً إلى أنهم في إدارة التربية والتعليم يقومون حالياً بحملة توعوية للمواطنين بخصوص الوقاية من المياه غير النقية وتجنب استعمال الملوث منها على مستوى المدارس.

كوليرا الطور

مما يخشى الأهالي في بني قيس هو أن يعود إليهم وباء الكوليرا الذي يؤكد الحاج شوعي الشريف ٦٥ سنة بأن هذا المرض الكوليرا قد اجتاح المنطقة قبل حوالي أربعين عاماً والذي أباد أعداداً كبيرة من الناس لدرجة أن هناك قرى بأكملها أبيدت عن بكرة أبيها، ولم ينج سوى القليل، وإذا ما استمر الوضع الصحي والبيئي في المديرية على ما هو قائم دون عمل أي إجراءات سريعة لتوفير البدائل اللازمة لذلك ربما يزيد الوضع سوءاً حتى يصل إلى مرحلة الخطورة لا سمح الله.

تقرير المياه

وبحسب تقرير رسمي تم رفعه من قبل المؤسسة العامة للمياه لمحافظ المحافظة فإن أغلب قرى مديرية بني قيس تعاني من عجز كبير في مصادر المياه النقية بل وغير متوفرة في كثير منها، إلى جانب أن مركز المديرية الصحي والوحيد لا تتوفر لديه الإمكانية اللازمة لعمل الإسعافات الأولية – على الأقل – للمواطنين والذي طالب التقرير بضرورة تأهيله بما يكفل تقديم الخدمات الصحية الضرورية للمواطنين كما أن كادر المستوصف يعاني من الإحباط بسبب سوء التعامل معهم وعدم اعتماد مكافآتهم أو بدل مناوباتهم والنزول الميداني للقرى والعزل للكشف الطبي بين الحين والآخر الأمر الذي عمل على شل حركة المركز وعدم الاستفادة من الطاقم المتواجد فيه أما الوحدات الصحية البالغ عددها حوالي سبع البعض منها في وسط الخلاء في مبان بلا عمال أو مستلزمات صحية.

المراجــع

ثـروت محمـد محمـد شـلبي:«أزمة الخليـج: الوعـي الجماهـيري، ووسـائل الاتصال»، القاهرة، مكتبة الأ نجلو المصرية.

إبراهيم إمام،١٩٨٤م، « وكالات الأنباء «، القاهرة، مكتبة لاأنجلو المصرية.

حمدي حسن، ١٩٩١م، «الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام»، القاهرة، دار الفكر العربي.

حمـود البدر:«القنـوات الفضائية:إيجابيات مشـاهدتها وسـلبياتها»،في «ندوة الإعـلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحـادي والعشرين»، مرجع سابق .

محمـود علـم الدين،ليـلى عبـد المجيـد: «فـن التحريـر الصحفي:المفاهيـم والأدوات»، مرجع سابق

خليـل صابـات، ١٩٧٩م، «وسـائل الاتصـال نشـأتها وتطورهـا»، مكتبـة الأنجلو، القاهـرة، ط٢.

فاروق أبو زيد: «مدخل إلى علم الصحافة «، مرجع سابق.

سـليمان صالـح، ١٩٩٤م، «مقدمـة في علـم الصحافـة «،القاهـرة دار النشر للجامعات.

السيد عليوة، ١٩٧٨م، «استراتيجية الإعلام العربي»، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السـيد محمد خيري وآخرون، ١٩٨٧م، « تغيير الرأي العام وعلاقته بالاتجاه نحـو الجريمـة»، الريـاض، دار النـشر بالمركـز العربي للدراسـات الأمنية والتدريب.

عبد الحميد حجازي، ١٩٨٧م، «الرأي العام والإعلام والحرب النفسية »، القاهرة ، دار الزهراء.

وليام ل. ريفرز، تيودور بيتيرسون، جاي و. جنسن، ١٩٧٥م،«وسائل الإعلام والمجتمع الحديث»، (ترجمة دكتور إبراهيم إمام)،القاهرة، دار المعرفة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

فؤاد البكري، ١٩٩٢م،«التنمية الثقافية والثقافة الجماهيرية»، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة الجماهيرية، مكتبة الشباب (١٦) .

نوال محمد عمر، ١٩٩٧م، « العلاقة بين الثقافة والإعلام المرئي»، في «الثقافة والإعلام بين الواقع والطموح» (١)، « دراسات وبحوث مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم»، الدورة الثانية عشرة، الإسكندرية، (إعداد وتقديم) عبد العزيز موافي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٧م، ص ص ٨٥ ـ ٩٤.

سمير محمد حسين،١٩٨٨م،«الإعلام التليفزيوني الخليجي والتنمية الشاملة» الرياض، جهاز تلفزيون الخليج، سلسلة دراسات وبحوث تلفزيونية ١٣.

منير حجاب، ١٩٩٨م، «الإعلام والتنمية الشاملة»، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع .

محمود علم الدين١٩٩٥م، «دور الصحافة في مواجهة مشكلة الارتداد إلى الأمية عند المتعلمين الكبار الجدد»،المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة المنيا، مج ١٥، ج٢، يناير.

محمود عبد الرؤوف كامل، ١٩٩٥م، «مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس: مفهومه، نظرياته، تاريخه، نماذجه، أساليبه، وسائله»، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق.

خليل صابات، ١٩٦١م، «الإعلان: تاريخه، أسسه وقواعده، فنونه وأخلاقياته»،القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ .

سمير محمد حسين ١٩٨٤م، «الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام» القاهرة، د.ن، مطابع سجل العرب.

محمود عساف، ١٩٧٦م، «أصول الإعلان»، القاهرة، مكتبة عين شمس.

طلعت الزهيري، ١٩٧٧م، «الإعلان بين العلم والتطبيق»، القاهرة، دار المعارف.

محمد عبد الحميد وآخرون، ١٩٨٩م، جدة، «مقدمة في وسائل الاتصال»، مكتبة مصباح ، ط١ .

علي بن شويل القرني:«معالجة الصحافة السعودية للقضايا المحلية:دراسة تحليل مضمون في علاقة الصحافة بالسلطة».

docs.ksu.edu.sa/DOC/Articles50/Article500263.doc

في جامعة أكسفورد تحدث عن الصحافة والسياسة والحضارة والتاريخ.

هيكل: الحضارة شراكة إنسانية (السبت. نوفمبر. ٣، ٢٠٠٧م).

http://www.islamonline.net/images/arabic/templates/slogo.gif

صادق اسماعيل:«تسويق الصحافة المرئية وتأثيراتها السلبية على رواج الصحافة المقروءة».

http://www.sotakhr.com/2006/index.php?id=952

٢ تموز (يوليو) ٢٠٠٨م، GMT 17:53:12.

إلين هيوم:«حرية الصحافة»

http://usinfo.state.gov/journals/itdhr/1205/ijda/hume.htm

٨ تموز (يوليو) ٢٠٠٨م، GMT 11:04:57.

الأمين العام لمجلس الصحافة والمطبوعات في منبر الصحافة .

هاشم الجاز: قيد الصحفيين مسؤولية اتحادهم المهني، والمجلس قبل المهمة اضطرارا.

http://www.alsahafa.info/index.php?type=3&id=2147493774.

١٦ شباط (فبراير) ٢٠١٠م، GMT 02:33:14.

محمود علم الدين١٩٩٨م، «فن التحرير الصحفي في عصر المعلومات»، الكويت، ندوة مستحدثات الفن الصحفي وامكانية الافادة منها في تطوير الصحافة الكويتية، ص ص ١ـ٦٢.

عدنان أبو فخر:«الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق»، مرجع سابق.

عبدالعزيز الغنام:«مدخل في علم الصحافة: الجزء الأول، الصحافة اليومية»، مرجع سابق.